الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيه
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الدور الاقتصادي والثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 10هـ/ 16م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالبات:
مريم باي
نبوية شباح
يمينة بوحامد

إشراف الأستاذ:
عمار غرايسة

لجنة المناقشة:
1- مبارك جعفري .... رئيسا
2- عمار غرايسة....مشرفا ومقررا
3- علال بن عمر ....عضوا مناقشا

السنة الجامعية

2011- 2012م/ 1432- 1433هـ

ثبت المختصرات

ج: الجزء

مج: مجلد

ط: الطبعة

ص: الصفحة

ص ص : الصفحات

هـ: هجري

م: ميلادي

ت: توفي

ع: العدد

تق: تقديم

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تع: تعليق

مر: مراجعة

تص: تصحيح

مخ: مخطوط

تقديم الموضوع:

لقد كانت بلاد السودان الغربي منذ أقدم العصور تمتلك العديد من الثروات الطبيعيـــة والبشرية فمثلت بذلك المصدر الرئيس للذهب والعبيد، حيث ساهمت تجارتهما في دخـــول وانتشار الإسلام بالمنطقة وظهور العديد من المراكز الاقتصادية والثقافية التي تعمق مـــن خلالها الإسلام واللغة العربية بالمنطقة كمدينة تمبكتو التي أصبحت تنافس نظيراتها فـــي العالم الإسلامي خاصة خلال القرن 10هـــ/ 16م. لهذا كان موضوع دراســـتنا يتمحـــور حول: **الدور الاقتصادي والثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 10هـــ/16م.**

دواعي اختيار الموضوع:

وقد كان من بين الدواعي التي حفزتنا لاختيار هذا الموضوع والاهتمام بدراسته:

- البحث الذي قمنا بانجازه فـــي مقيـــاس أفريقيـــا الإســـلامية حـــول مملكـــة ســـنغاي الإسلامية(1493- 1591م) حيث لفت انتباهنا تلك النعوت التي أطلقت على مدينة تمبكتو كالمدينة الغامضة وجوهرة الصحراء والمدينة التي تغمرها الرمال وأســـطورة التـــاريخ، فتعمقت لدينا الرغبة في زيادة توسيع معرفتنا حولها.

- بقصد التعرف على الدور الذي لعبته المدينة اقتصاديا وثقافيا وجعلها تكون مـــن أهـــم الحواضر الإسلامية.

الإشكالية:

مثلت تمبكتو واحدة من أهم الحواضر السودانية لما كانت قد حققتـــه مـــن محوريـــة ارتبطت بجغرافية المكان الذي أكسبها أهمية خاصة في الجانب الاقتصادي والثقافي، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نطرح التساؤل عن:

الصورة الاقتصادية والثقافية التي كانت عليها مدينة تمبكتو والتي جعلتها تكون من بين أهم الحواضر الإسلامية في بلاد السودان الغربي وترقى بها لأن تلعب دورا خاصة خلال القرن 10هـــ/16م على المستويين الاقتصادي والثقافي.

المنهج المتبع:

ولدراسة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والاستنتاج، الذي رأينا فيه أنه الأكثر مناسبة لتناول الموضوع ومحاولة الإحاطة بأهم الجوانـــب ذات الصلة.

تقسيمات الموضوع:

ولمعالجة الموضوع اعتمدنا على خطة ابتدأنا فيها بمدخل مهدنا فيه للموضوع حيث حددنا الموقع الجغرافي للمدينة وبيـــنا أصل تسميتها ومراحل نشأتها وتأسيسها. وقـــسمنا موضوعنا إلى فصلين، تناولنا في الفصل الأول الدور الاقتصادي لمدينة تمبكتو باعتبارها مدينة اقتصادية بدرجة أولى خاصة في المجال التجاري وأدرجنا فيه ثلاث مباحث أوردنا في المبحث الأول دورها الزراعي الذي تحدثنا فيه عن أهم المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والسمكية التي كانت تمتلكها مدينة تمبكتو، أما المبحث الثـــاني فقـــد خصـــصناه للدور الصناعي الذي تميزت به المدينة وتعرفنا فيه على أهم الحرف الـــصناعية وكيفيـــة تعليمها، وتطرقنا في المبحث الأخير إلى الدور التجاري والذي عالجنا فيه أهم المـــسالك التجارية البرية والنهرية التي ربطت تمبكتو بمختلف الأقطار كما بينا ابرز الـــسلع التـــي كانت تصدرها وتستوردها المدينة وكيفية التعامل التجاري بها، وتعرضـــنا كـــذلك إلـــى المكاييل والموازين والمقاييس المتعامل بها وأخيرا قمنا بوصف سوق المدينة.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الدور الثقافي لمدينة تمبكتو وخصصنا له ثلاث مباحث تناولنا في المبحث الأول المقومات التي ساهمت في ظهور المدينة ثقافيا أهمها إستراتيجية الموقع الجغرافي ودور الحكام في تثبيت دعائم الإسلام، أما المبحث الثاني فقد ذكرنا فيـــه ملامح الحياة الثقافية التي تميزت بها المدينة كالمساجد والمدارس وأبرز الأئمة والعلمـــاء والقضاة الذين عرفتهم المدينة خلال القرن 10هـــ/ 16م، وبالنسبة للمبحث الثالـــث فقـــد حاولنا إبراز العلاقات الثقافية التي كانت تربط مدينة تمبكتو بمختلف الأقطار الإسلامية.

وقد ذيلنا موضوعنا بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات المستخلـــصة بعد دراستنا له، كما زودناه بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع.

أهم المصادر والمراجع:

ولإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجـــع كـــان فـــي مقدمتها المصادر التاريخية السودانية ككتاب تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي الـــذي أفادنا في وصف المدينة وذكر مساجدها وأئمتها، وكتابي نيل الابتهاج لأحمد بابا التمبكتي وفتح الشكور للبرتلي الولاتي اللذين كانا من أهم المصادر التي ساعدتنا في التعرف على علماء المدينة، كما أفادنا كتاب تاريخ الفتاش لمحمود كعت في الدور الذي لعبـــه الحكـــام الأسيقيون في ازدهار المدينة.

لكن على الرغم من أهمية هذه المصادر إلا أننا لم نجد فيها تركيـــزا بخاصـــة فـــي الجانب الاقتصادي للمدينة بل اهتمت في مجملها بالسودان الغربي بصفة عامة وهـــو مـــا دفعنا إلى محاولة الاعتماد على الإسقاط في بعض النقاط وإجراء نوع من المقابلـــة بـــين المدن التي رأينا أنها أقرب إلى أن تشكل حالة من شبه الانسجام في ظل ما كان من تماثل لإطارها العام.

هذا دون أن ننسى المصادر الجغرافية وكتب الرحالة التي كان لها قيمة فـــي تحديـــد مواقع بعض المدن. ولعل من أهم هذه المصادر كتاب المسالك والممالك لأبـــي عبيـــد الله البكري وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، هذا و أفادنا ابن بطوطة في رحلته بوصفه للمدينة، إضافة إلى كتاب وصف أفريقيا للحسن الوزان الذي انفرد في ذكر المدينة خلال القرن 10هـــ/16م وكان الأقرب إلى الفترة محل الدراسة.

يضاف إلى كل ما سبق مصادر أخرى حاولنا الاستفادة منها كمعجم البلدان ليـــاقوت الحموي ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري وصبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي.

والى جانب هذه المصادر الأساسية هناك مراجع باللغة العربية وهي كثيرة وتأتي قيمتهـــا في كونها من الكتب التي ألفها المتخصصون في أفريقيا الإسلامية وجاءت غنية بالتحليـــل والتوثيق حيث مكنتنا من الاستفادة بالكثير من النقولات من المصادر التي نقلت عنها ولم يسعفنا الحظ في الحصول عليها، فكان من أهم هذه المراجع كتب عبـــد القـــادر زباديـــة خاصة كتاب مملكة سنغاي على عهد الأسيقيين، وكتاب تمبكتو أسطورة التـــاريخ لمحمـــد

علي عبد اللطيف، إضافة إلى كتاب انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيمـــا وراء الصحراء لإصلاح محمد البخاري حمودة.

والى جانب ذلك فقد وجدنا في المراجع الأجنبية ما لم نجده في المراجع العربية فقـــد وجدنا بها ضالتنا في تحديد الموقع الجغرافي للمدينة بأكثر دقة، كما أفادتنا فـــي التعـــرف أكثر على الجانب الاقتصادي لها بقطاعاته الثلاث.

ويضاف إلى ذلك كله اعتمادنا على المقالات المنشورة في المجلات والدوريات.

الدراسات السابقة:

أما الجديد في هذه الدراسة فلا يكمن في طرق الموضوع في حد ذاته فقـــد ســـبقتنا دراسة خاصة تناولت تمبكتو ودورها الحضاري خلال القرن 10هـــ/16م وهذا حسب ما توصلنا إليه، غير أننا ركزنا في دراسة موضوعنا هذا على الدور الاقتصادي والثقـــافي الذي لعبته المدينة خلال نفس الفترة الزمنية هذا زيادة على ما في طيات الموضوع مـــن آراء واستنتاجات.

أهم الصعوبات:

وقد واجهتنا في دراسة موضوعنا جملة من الصعوبات وهي على سبيل المثال قلـــة المصادر المتخصصة في الموضوع وما هو موجود منها صعب المنال نظـــرا لافتقـــار المكتبة المركزية للجامعة منها، لذا التجأنا إلى الكتب الالكترونية والتي بدورها لم تتـــوفر لنا كليا. هذا ما زاد من صعوبة دراسة الموضوع.

ومما زاد من تعثرنا في إتمام هذه الدراسة هو ندرة المادة العلمية الخاصة بالقطاعين الزراعي والصناعي مما سبب خللا في التوازن بين المباحث، وكذلك نفس الحال بالنسبة للفصل الثاني حيث اضطررنا إلى استخدام الأسلوب الإســـتنتاجي خاصـــة فـــي تحديـــد العلاقات الثقافية التي تربط المدينة بمختلف الأقطار الإسلامية.

وفي الأخير نرجو من الله أن نكون قد وفقنا في الإلمام بأهم جوانب الموضوع، وكل عمل ينجزه صاحبه يعتريه النقصان فان أصبنا فمن الله وان أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

كما نتمنى أن تكون محاولتنا الأولية هذه بمثابة لبنـــة صـــغيرة يمكـــن للبـــاحثين أن يستندوا عليها للتعمق أكثر في الموضوع خاصة وأن تاريخ هذه المنطقة لا يزال بحاجـــة ماسة إلى دراسات أشمل.

مدخل: لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة تمبكتو

احتلت تمبكتو مكانة مميزة حيث كانت تمثل بوابة السودان الغربي، هذا ما أهلها لأن تكون حاضرة من الحواضر الاقتصادية والثقافية.

1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة تمبكتو جغرافيا على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، بما يعرف اليوم بمنحى نهر النيجر(1)، حيث تقع على بعد اثني عشر ميلا(2) من أحد فروعه (3)، مما جعلها تستفيد من مزاياه في النقل النهري، وكانت بعيدة عنه بما فيه الكفاية بحيث تتجنب الفيضانات الكبيرة التي اشتهر بها هذا النهر(4).

أما فلكيا فتحدد تمبكتو عند 5° غرب خط غرينيتش و 16°و43' شمال خط الاستواء، وهي ترتفع بنحو 245 متر عن السطح(5)، أما اوسكار لنز Dr. Oskar Lenz (6) فيذكر أنها بين 3°و 5' أو 3°و 40' غرب خط غرينيتش و 17° و37' أو 17° و 50' شمال خط الاستواء(7).

المناخ في تمبكتو تقريبا صاف لأنه جاف، مع أن هناك فصل أمطار والذي يبدأ من شهر جوان وينتهي في شهر أكتوبر، وكمية الأمطار التي تسقط كل سنة لا تتجاوز

---

(1) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص 117.

(2) وهو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة. وقد قدر ب 1920 متر. ينظر: عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي على عهد الأسيقيين (1492- 1591م)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 198.

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الأفريقي، **وصف أفريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 165.

(4) إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 312.

(5) Saint-Louis, **Notice sur la région de Tombouctou**, Imprimerie du gouvernement, 1869, p38.

(6) هو طبيب نمساوي، ذهب عن طريق المغرب، وتوجه إلى واد درعة، ثم تندوف، ثم تاوديني، فأروان، ثم تمبكتو أين استقبل هناك أحسن استقبال. ينظر: Ibid, p12.

(7) Oskar Lenz, **Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**, Tome2, libraire Haghette, Paris, 1887, p 148.

250 ملم[1]. وهي قليلة مقارنة مع باقي بلاد السودان، وترافقها بعض الزوابـــع الرمليـــة خلال السنة[2].

والحرارة في تمبكتو متغيرة في السنة من + 4° إلى + 50° مئوية في الظل، والأشهر الأكثر حرارة هي ماي وجوان، والأكثر بـــرودة هـــي ديـــسمبر وجـــانفي[3]، والشهران الرطبان والرائعان هما شهرا ديسمبر وجانفي، والصبح والليل بارد نوعا مـــا، والشهور الأخرى مثل مارس، أفريل و ماي فهي مزعجة نظرا للرياح الشرقية التي تسود المدينة[4]. وهذه الرياح الشرقية تهيمن بشكل كلي من أكتوبر إلى أفريل ثم تمر إلى الغرب مقسمة بذلك السنة إلى قسمين متساويين تقريبا، والسبب في ذلك انه من أفريل إلى أكتوبر تزداد الصحراء حرارة تحت أشعة الشمس المباشرة، ومن شهر أكتوبر إلى أفريـــل فـــإن حرارة الصحراء تقل والأقطار الواقعة جنوب تمبكتو والمحيط كله يزداد حرارة بـــدوره، هذه الرياح منتظمة والسبب في ذلك هو غياب الجبال[5]، أما الرياح الجنوبية الساخنة فهي معتادة في بعض الفصول خاصة بين جويلية وسبتمبر وتكون مرفقة بعواصـــف وزوابـــع عنيفة[6].

2- أصل التسمية:

تشير الروايات المتوفرة إلى أن الاسم الحقيقي لمدينة تمبكتو هـــو تـــــين- بكتـــو أو تيـــم- بكتو[7]، وحسب بعض المراجع فإن (تين) أو (تيم) هي إشـــارة إلـــى (المكـــان)

---

(1) Mgr A.Hacquard, **Monographie de Tombouctou(Accompagnée de nombreuses illustrations et d'une carte de la région de Tombouctou)** , société des études coloniales et maritimes, Paris, 1900, p14.

(2) Saint -Louis, op-cit, p41.

(3) Mgr A.Hacquard, op-cit, p 14.

(4) Saint Louis, op-cit, p 41.

(5) Mgr A.Hacquard, op-cit, p 14.

(6) Oskar Lenz, op-cit, p 148.

(7) Lucien Hurbert et Maurice Delafosse**, Tombouctou (son histoire- sa conquête)**, grand imprimerie parisienne, Paris,1894, p07.

المرتبط باسم السيدة المنسوبة إليه والتي تدعى (بكتو)[1] ، في حين يرى البعض أن كلمة (تين) تعني البئر[2].

إذ تشير الروايات التاريخية إلى أن أصل التسمية التي تعرف بها المدينة الآن تعود إلى سيدة مسنة اشتهرت بالأمانة وكانت تقيم في ذلك الموقع، وكان الطوارق[3] وأهل المنطقة القادمين من أماكن بعيدة يستأمنونها على تخزين مؤنهم وبعض الأشياء الأخرى التي كانوا في غير حاجة لنقلها معهم إلى مناطق استقرارهم في الشمال، هذه السيدة كانت تسمى (بكتو)، وكان الطارقي يُسأل عندما يعود إلى موطنه الأصلي أين أمضى فترة الجفاف، أو أين لجأ بقطعان ماشيته أثناءها، أو أين خبأ أمتعته، فيقول: وضعتها عند (تين) ومعناها مكان (بكتو) وهو اسم السيدة، ومع مرور الزمن اندمجت الكلمتان فأصبحت (تين بكتو) ثم (تمبكتو)، وبذلك سميت المدينة[4].

وتدعى (تنبكت) ومعناه في لغاتهم (المجرة) وهي بها فسميت الموضع المبارك بالمدينة[5]، في حين ذكر أوسكار لنز(Oskar Lenz) نقلا عن بارث (Parth) بأن اسم المدينة استعير من لغتها والذي تغير فيما بعد إلى تمبكتو، وتعني تمبكتو في اللغة الصنغائية (العمق المتدني)، ويشرحون ذلك لأن المدينة موجودة في انخفاض بالنسبة للكثبان[6].

كما ذهب المؤرخون إلى أن اسم تمبكتو يعني (الأم ذات السرة الكبيرة)، كان ذلك اسم لامرأة عظيمة في القبيلة[7].

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001م، ص 85.

(2) مقدم مبروك، **محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرنين الثامن والتاسع ميلادي**، ج1، دار الغرب، الجزائر، 2002م، ص 196.

(3) وهي من القبائل الصحراوية التي انتشرت في منطقة فسيحة من غدامس حتى المحيط الأطلسي، ووصلت إلى مقربة من منحى نهر النيجر. ينظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998م، ص 05.

(4) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 85.

(5) عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، مطبعة بردين، باريس، 1981م، ص 21.

(6) Oskar Lenz, op-cit, pp 169, 170.

(7) Comte René le More**, D'Alger à Tombouctou (des rives de la loive aux rives du Niger)** Librairie Plon, Paris, 1913, p130.

وذكر الحسن الوزان أن تمبكتو يكتبها السودانيون والصحراويون (تنبكت) ويزيدون أحيانا الياء بعد التاء الأولى (تينبكت)[1] ، وهو نفس ما لاحظناه عند السعدي في تاريخ السودان والولاتي في فتح الشكور، على وجه الخصوص.

وبعد دراستنا لجملة من المصادر والمراجع وجدنا اختلافا في نطق اسم المدينة، فهناك من ينطقها بـ«ضم وسكون ثم موحدة مضمومة وكاف ساكنة»[2]، وهناك من ينطقها بكسر التاء الأولى، غير أننا اعتمدنا في دراستنا على تسمية (تُمبكتو) باعتبارها الأكثر تداولا.

3- **النشأة والتأسيس:**

تأسست مدينة تمبكتو حوالي سنة 1100م[3]على أيدي طوارق مقشرن[4]العائدة في أصولها إلى قبيلة صنهاجة[5] والمستوطنة على تخوم الصحراء الكبرى من جهة الجنوب، وتحديدا من قبائل لمطة[6]، وهي أول من أقام في تلك المنطقة[7]، حيث اتخذوها مركزا للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف ببلاد السودان، حوالي بداية القرن 3هـ/ 9م[8]، وحفروا أول بئر لتوفير المياه الصالحة للشرب للمترددين عليها، والذين كانوا يضطرون للبقاء هناك لعدة أشهر متتالية في سنوات الجفاف في مناطق استقرارهم الأصلية، وحتى تتحسن الظروف المناخية في مناطقهم مرة أخرى[9].

---

(1) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 165. الهامش14.

(2) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المؤلفين، ج4، دار الهداية، ص 471.

(3) محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تح: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مر: محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية، القاهرة، 1965م، ص 134. الهامش3.

(4) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 20.

(5) وهي من القبائل البربرية الكبرى وأكثرها، ومواطنهم ما بين المغرب الأوسط و افريقية وهم مدر، كما وجدت بطونها بالصحراء، وهم أهل وبر. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/ 2000م، ص 270.

(6) وهي من القبائل البربرية البرنسية، إخوة صنهاجة، موطنهم بالسوس وما يليه من بلاد الصحراء. ينظر: نفسه.

(7) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 85.

(8) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 100.

(9) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 85.

وقد كانت السوق المقصودة في المنطقة قبل تمبكتو تقع في منطقة (بيرو)[1] وكانت القوافل تأتي إليها من مختلف بلدان الشرق والشمال، ولما بنيت تمبكتو تحولت إليها جميع هذه الطرق التجارية[2]، فكان ازدهار تمبكتو من خراب (بيرو)[3]،حيث ضعف مركز ولاتة بعد غزو المرابطين لغانا (469هـ/ 1076م)، فقلَّ الأمن في المكان[4]، إضافة إلى الحروب المحلية التي أضعفت مدينة ولاتة وسوقها الكبير، فبدأت معالم الاندثار تظهر أمام ظهور ونمو تمبكتو[5]، والدليل على ذلك أن الوزان، الذي زارها في بداية القرن 10هـ/ 16م ،وصفها بأنها مملكة صغيرة خاملة لا نشاط لها وليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى وأكواخ متفرقة بين حدائق النخيل، وأن التجار قد تركوها شيئا فشيئا، وذهبوا إلى المراكز الأكثر ازدهار مثل: تمبكتو و جاو، بحيث أن أمير ولاتة أصبح فقيرا لا سلطة له عليها[6].

وزاد السكان تعدادا و بدأ الناس يبنون لأنفسهم مبان أنيقة[7] وقد « كانت مساكن الناس في أول الأمر زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش ثم تحولوا عن الزريبات إلى الصناصن ثم تحولوا عنها إلى بناء الحيوط أسوار قصارا جدا بحيث من وقف في خارجها يرا ما في داخلها»[8].

(1) هي مدينة تقع على بعد مائتي ميل غربي تمبكتو، وهي نفسها ولاتة. ينظر: هـ. ج. وود، **الارتياد والكشف الجغرافي**، تر: شاكر خصباك، المكتبة العصرية، بيروت، ص32.

(2) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 311.

(3) E-T. Hamy, **Tombouctou (conférence faite au muséum d'histoire naturelle)** ,Revue générale des science pures et appliquées, Directeur: Louis Olivier, librairie Armand colin, Paris, 1902, p 04.

(4) مقدم مبروك، المرجع السابق، ص 196.

(5) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 86.

(6) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 161، 162.

(7) ك. مادهو بانكيار، **الوثنية والإسلام(تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب افريقية)** ، تر و تع و تح: أحمد فؤاد بلبع، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص 385.

(8) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 21.

والبيوت في تمبكتو رمادية اللون من لون الرمل عندهم، و هي ليست بيضاء كالبيوت المغربية في بلاد المغرب[1].

ولقلة الحجر في تمبكتو بنيت المنازل بلبنات معجونة من الطين المجفف في الشمس، وواجهة المنازل مسنودة بأعمدة[2]، والبيوت تتكون من غرف للسكن وتحتوي على سلالم أرضية ضيقة تصعد بك إلى الطابق الأول، والسقف عند الأغنياء له شرفات لملاحظة المارين، ويوجد في أعالي السقف سواقي مصنوعة من الخشب أو الطين المصقول ترمي بمياه الأمطار إلى الخارج، والبيوت لا تطل على الخارج إلا من خلال نوافذ مصنوعة من الخشب على الطراز العربي، وهذه النوافذ قد تكون عادة فوق أبواب المنازل ولديها أقفال رائعة تبدي لك النمط الطارقي[3]،وبما أن البيوت مصنوعة من الخشب، فإن مدينة تمبكتو تتعرض للحرائق، وكم من مرة التهمت النيران بعض منازلها[4].

كما أن موضع المدينة مختار حيث قال السعدي أنهم :«... اختاروا موضع هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة ... ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار...»[5]، ولا يحيط بتمبكتو أي بستان أو حديقة[6]، وفي أواسط القرن 16م انتظمت شوارعها وأحياؤها وبدت بعض المباني على الشكل الهندسي المغربي الأندلسي، وأحيطت المدينة آنذاك بسور وأزيلت الخيام وأكواخ القش لتبنى مكانها المخازن والبيوت المتعددة الطوابق[7].

---

(1) Saint Louis, op-cit, p 40.

(2) Mgr A.Hacquard, op-cit, p 05.

(3) Saint louis, op- cit, p 40.

(4) مرمول كربخال، **أفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، مكتبة المعارف، 1414هـ/ 1984م، ص 203.

(5) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص ص 20، 21.

(6) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

(7) محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (نشأته وآثاره)** ، مؤسسة الخليج، الكويت، 1982م، ص 574.

وقد ازدحمت شوارعها و أزقتها بالعديد من الحرفيين وأصحاب المهن ممن كانوا ينشطون الحياة الاجتماعية والاقتصادية المحلية من أمثال الخياطين ، الإسكافيين وبائعي الخبز [1].

وتدفقت عليها القوافل من جميع البلدان[2]، والعلماء الكبار والحرفيين والأغنياء من كل الأجناس، ومكثوا فيها[3]، وشكلوا خليطا مع سكانها من السود الصونغاي، والعبيد المغاربة ومن الطوارق[4]. وقد بلغ عدد سكانها حوالي 35 ألف نسمة في القرن 10هـ/ 16م[5].

فأصبحت تمبكتو بذلك مركزا ثقافيا إلى جانب كونها مركزا تجاريا، غير أن تحولها إلى مركز تجاري كان قد سبق ازدهار الحركة الثقافية بها وكان عماد تكوينها كمدينة منذ البداية[6].

(1) Saint Louis, op-cit, p 40.
(2) فكان هناك من مصر، أوجلة، فزان، غدامس، توات، درعة، تافيلالت، سوس، وفاس... الخ. ينظر:
E.T. Hamy, op-cit, p 04.
(3) Ibid.
(4) Saint Louis, op-cit, p 40.
(5) يحي بوعزيز، **تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2001م، ص 194.
(6) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص 100، 101.

الفصل الأول: الدور الاقتصادي لمدينة تمبكتو:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في بروز مدينة تمبكتو اقتصاديا في مقدمتها موقعها الجغرافي القريب من نهر النيجر الذي سمح للسكان باستغلاله في زراعة عدد من المحاصيل المعاشية كالأرز والفول ...الخ رغم الظروف المناخية القاسية، بالإضافة إلى الثروة الحيوانية التي دعمت النشاط الصناعي فبرزت العديد من الحرف والصناعات اليدوية كالنسيج، كما أن وجودها على حافة الصحراء الكبرى وقربها من المراكز الحضارية والتجارية في بلاد المغرب جعلها بوابة لدخول القوافل التجارية إلى بلاد السودان الغربي. وأمام هذا فقد لاحظنا وفرة المادة المعرفية المتعلقة بالتجارة وكانت الأكثر حضورا بالنظر للطابع التجاري الغالب على المدينة والمميز لها.

أولا: زراعيا:

إن قسوة الطبيعة وجفاف المناخ في تمبكتو لم يساعد على قيام زراعة نشطة، إلا أن الزراعة مثلت أحد أهم الأنظمة الاقتصادية كونها المصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد[1]. فاعتمدوا على ما يبدو بالدرجة الأولى على مياه نهر النيجر ثم على مياه الأمطار[2]. وقد وُجد في تمبكتو عدة آبار ماؤها عذب، بالإضافة إلى ما كان يصل المدينة من ماء عبر قنوات خاصة، وذلك عند فيضان نهر النيجر[3].

كما أولى الحكام الأسيقيون اهتماما بتطوير الزراعة، وعلى رأسهم الأسقيا محمد (1493- 1528م)[4] الذي شجع الزراعة واعتنى بها، حيث أنشأ عددا كبيرا من القرى الزراعية وحشد فيها ما كان يعود به من عبيد في حروبه، وخفض الضرائب على

---

(1) عبد الحميد الجنيدي، **مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/ 16م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر،(غير منشورة)، (1429- 1430هـ)/ (2008- 2009م)، ص 45.

(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 271.

(3) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 166.

(4) وهو أول حكام مملكة سنغاي التي امتدت من (1493- 1591م)، وقد بلغت المملكة في عهده أوج ازدهارها في جميع المجالات. للمزيد ينظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تق و تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974م، ص 10 وما بعدها.

المحاصيل الزراعية[1]، وذلك على ما يبدو لزيادة توسيع النشاط الزراعي والاهتمام به ودعوة الفلاحين لتركيز نشاطهم بصورة أكبر، والقصد في ذلك السعي للرفع من المحصول وتحقيق الاكتفاء الغذائي للمدينة بشكل محلي.

وقد استمر تطوير الزراعة في عهد الأسقيا داود(1549-1582م)[2]، إذ بلغت أقصى ما يمكن بلوغه من النشاط والحيوية[3].

وكانت الزراعة تتمركز بشكل عام على جانبي نهر النيجر، إذ أورد الوزان أن نهر النيجر يشق أرض السودان والذي تمتد على جانبيه أجمل الأراضي، إذ أضفى على التربة خصوبة خاصة في فترة الطمي، حيث يدل فيضان النهر على غزارة مياه الأمطار، وهو ما ينعكس على خصوبة التربة ومن ثمة زيادة كمية الإنتاج الزراعي[4].

أما نظام الزراعة الذي كان متبعا فهو نظام المزارع، وهذا ما أفاد به موسى السعدي في قوله:« توفي الإمام أحمد بن الإمام صديق[5]، في مزرعة كريع، وحمل إلى تنبكت وصلى عليه صلاة الجمعة»، كان ذلك في شهر رمضان 1005هـ/ 1596م، الأمر الذي يؤكد وجود نظام المزارع[6]،حيث كانت هناك مزارع يمكن أن توصف بالقطاع الخاص والعام، وكان لحكام سنغاي مزارع خاصة بهم، يعود منتوجها إليهم، من ذلك مزارع السلطان أسقيا داود (1549-1582م) التي كان يشغل فيها عبيده ويشرف عليها رئيس خدمه [7]،وكان حكام سنغاي يمنحون أتباعهم

---

(1) سينيكي مودي سيسوكو،**الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**، تاريخ أفريقيا العام ، مج4، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ص 207.

(2) تولى الحكم بعد أخيه إسحاق وهو الأسقيا داوود بن الأسقيا محمد، وعمره 22 سنة في صفر عام 956هـ (22 مارس 1549م)، وظل في الحكم مدة 34 سنة و أربعة أشهر. ينظر:

Mahmoud Kati ben el-Hadj el-Motaouakkel Kati, **Tarikh El-Fettach ou chronique du chercheur** , tradiction Houdas et M .Delafosse, Paris, 1913, p 176.

(3) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 46.

(4) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 30.

(5) الإمام أحمد بن الإمام صديق، هو آخر أئمة الجامع الكبير جنغري بير في عهد سنغاي. ينظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 62.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 46.

(7) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 268.

مزارع، وهذا ما حدث لمحمود كعت عندما أراد تزويج بناته وأولاده، إذ طلب من الأسقيا داود (1549-1582م) أن يمنحه مزارع[1].

وكانت الزراعة في القطاع الخاص مقسمة حسب نوعية المزروع، فهناك مـــزارع خاصة بالأرز مثلا،أي أنها تختص بإنتاج نوع معين من المزروعات وفي المقابل كانـــت هناك مزارع لعامة الناس وهي عادة ما تكون صغيرة[2].

1- المزروعات

كان من بين أهم المحاصيل الزراعية في تمبكتو ما يلي:

1- 1- **الأرز**: يزرع الأرز على نطاق واسع وبصورة خاصة حول نهر النيجر وروافده على المستوى الأعلى، حيث يزرع قبل ارتفاع منسوب الماء بواسطة الحـــواجز المائيـــة المصنوعة بإتقان ونظام، والتي تغمر شيئا فشيئا[3]. وغالب أقوات السكان من الأرز[4]لأن القمح والشعير لا يزرعان بسبب التربة الحارة جدا، والمطر لا يسقط إلا في ثلاثة أشـــهر من السنة، فلا ينمو فيها شيء من هذه الحبوب[5]،وجني الأرز يبدأ مـــن شـــهر نـــوفمبر وينتهي في شهر ديسمبر، وهناك أنواع عديدة للأرز منها الأبيض و الأسود و الـــصغير والكبير[6].

1- 2- **الذرة**: وقد وجدت بكثرة بتمبكتو، حيث تمثل أحد مصادر غذاء ســـكانها، كمـــا كانت تستخدم لإطعام خيولهم ودوابهم،أما الحنطة فوجدت عندهم بصورة قليلة[7].

1- 3- **الفول**: يزرع في شهر مارس من كل سنة، ثماره قصيرة الحجـــم لكنهـــا مليئـــة بالحبيبات. وقد ينتج صغيرا ونوعا ما مسطح الشكل[8].

---

(1) Mahmoud Kati, op- cit, p 196.

(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 269.

(3) Mgr. A.Hacquard, op-cit, p 22.

(4) شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(ممالـــك الـــيمن، والغـــرب الإسلامي، وقبائل العرب)** ، تح: حمزة احمد عباس، ج4، المجمع الثقافي، الإمارات، 2002م، ص 111.

(5) مارمول كربخال، المصدر السابق، ج1، ص 53.

(6) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 23.

(7) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، ج5، المؤسسة المصرية العامـــة، القـــاهرة، ص 288.

(8) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 47.

وتستهلك المدينة ما تحتاج من هذه الحبوب، والفائض منها يخزن في مطامير يصل عمق الواحدة منها ستة أقدام (1.98م)[1].

1- 4- **جوزة الكولا**: يطلق عليها أهل السودان الغربي (الجورو)، ويأكلونها باستمرار[2]، وهي عبارة عن فاكهة تشبه الجوزة، وعندما تيبس هذه الثمرة تصبح شبيهة بحبة القسطل، ويطلق عليها في مثل هذه الحالة كولا، ويقدمها السكان لزوارهم[3]، وهذه الجوزة تزهر مرتين في السنة، ومنها الجوزة الحمراء المرّة والتي يزعم أنها تحوي علاجا جيدا من الإصابة بالبرد، وهي تعوض الشاي والقهوة والكاكاو، وكانت تعبر على حسن نية صاحبها وهي ذات رمزية تدخل في العديد من الجوانب الحياتية كالزواج على سبيل المثال أو إعلان حالة الحرب وما سوى ذلك. أما في الحالة الجافة فان الجوزة تحول إلى غبار وتباع على هذا الشكل ممزوجة بمواد أخرى[4].

1- 5- **التبغ**:وهو من المحاصيل الأساسية، يزرع بشكل كبير في شرق المدينة، وتستهلك الجزء الأكبر منه، والباقي يصدر إلى قرى الجنوب[5].

1- 6- **منتجات أخرى**: وجد في تمبكتو كذلك الجلبان والحمص والثوم القصبي و الخيار و القرع و البطيخ[6]و البصل و الطماطم و اليقطين[7]، بالإضافة إلى القطن الذي يزرع في المناطق المحيطة بنهر النيجر، كذلك الكتان وقصب السكر[8]و الباذنجان والكرنب غير أنهما قليلان عندهم، وتطلع الملوخية عندهم برية[9].

---

(1) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 47.

(2) الأمين عوض الله ، (**تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن 16م)** ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ/ 1984م، ص 89. الهامش.

(3) حسين جاجوا، **دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي(1850- 1881)** ، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة،(غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1401هـ/ 1981م، ص 99.

(4) Oskar Lenz, op-cit, p 162.

(5) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 47.

(6) مارمول كربخال، المصدر السابق، ج1، ص 53.

(7) Oskar Lenz, op-cit, p 166.

(8) عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء** ، ط1، منشورات جامعة فانريوس، بنغازي، 1998م، ص 380.

(9) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص 112.

وعندهم من الفواكه البستانية ما عرف بالجميز وهو كثير عندهم، وتنبت عندهم أشجار برية ذات ثمار طيبة ومنها شجر يسمى عندهم نادموت[1]تحوي داخلها ما يشبه دقيق الحنطة وهو ساطع البياض ويستعمل عندما يجف في الحناء، كما يدخر عندهم للأكل والخضاب[2].

وقد وجد بتمبكتو نبات ذو ثمار لاذعة مثل الفلفل في مذاقه،وجذوره تستعمل مثل السواك، كما وجد الليمون بأشكاله المتنوعة[3]، والتين والكروم[4]، اضافة إلى أعداد كبيرة من النخيل القزمة بمحاذاة المناطق المشرفة على حدود الفيضان[5].

2- الثروة الحيوانية والسمكية:

لقد اهتم سكان تمبكتو بتربية الحيوانات وذلك من أجل الاستفادة منها في حياتهم اليومية ومن أهمها: البقر والخرفان والماعز التي تأتي بها قبائل البدو والعرب والطوارق الذين يسافرون إلى مناطق الجوار[6] إضافة إلى الإبل، وقد استفادوا من لحوم هذه الحيوانات وألبانها في غذائهم، و أوبارها وأصوافها وجلودها في صناعة بيوتهم وألبستهم، كما استخدموا البعض منها في نقل أحمالهم وتجارتهم وكخزانات للمياه[7]. وكانت أغنامهم ومعزهم بلا مرعى ، وتلد الواحدة من الماعز في بطن واحدة سبعة وثمانية[8]. وهو ما انفرد في ذكره صاحبه، ونرى استبعاد ذلك في ظل ما هو متعارف عليه.

كما اشتهرت المدينة بكثرة الدجاج والحمام [9]، حيث أكد القلقشندي ذلك في إشارته إلى ما بها« من الطيور الدواجن كالإوز، والدجاج، والحمام...»[10] ، إذ كان الدجاج يمثل جزءا هاما في منازل سنغاي على أيام الأسيقيين، كما كان بيضه ولحمه يمثلان غذاءا

---

(1) يسميه القلقشندي تادموت. ينظر: المصدر السابق، ج5، ص 288.
(2) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص 112.
(3) Mgr. A.Hacquard, op-cit, pp 16, 17.
(4) عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 320.
(5) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 17.
(6) Ibid, p 35.
(7) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص 276، 277.
(8) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص 113.
(9) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 36.
(10) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 288.

مهما في حياة السكان[1]، كما وُجد بتمبكتو طير النعام الذي يصدر ريشه خارج بلاد السودان الغربي[2].

وقد وجد بتمبكتو أيضا الجواميس البرية التي كانت تصطاد بطريقة تقليدية، حيث يحملون صغار الجواميس ويربونها في بيوتهم فإذا أرادوا الصيد أخرجوا واحدا من تلك الصغار لتراه الجواميس الأخرى وتأتي إليه، ثم يرمونها بسهام مسمومة وبعد ذلك يقطعون موضع السم ويأكلون باقيه[3].

والخيول التي تولد في تمبكتو كلها من نوع صغير الحجم الذي يسهل حتى على النساء امتطاءه ، ويستعمله التجار في أسفارهم ورجال البلاط للتجول في شوارع المدينة[4]،حيث يذكر الوزان أنه:« لا يولد في هذه البلاد من الخيل غير بعض البراذين الصغيرة»[5].

أما عن الثروة السمكية فإن نهر النيجر قد حبا أهله بثروة سمكية هائلة منذ القدم[6]، وهي تمثل مصدرا آخر للغذاء، لكنها تأتي مجففة إلى تمبكتو، وهي غير مرغوبة من الأغنياء مما جعلها تشكل بهذا دعما كبيرا للطبقة العاملة والفقراء الذين يعتمدونها لتحسين طعم مآكلهم[7].

وفي الأخير يمكن التأكيد على أن:

- سكان تمبكتو اهتموا بالزراعة رغم الظروف الطبيعية القاسية، وذلك بالاعتماد على مياه نهر النيجر والأمطار.
- الحكام الأسيقيون أولوا اهتماما كبيرا لتطوير الزراعة.
- النظام الزراعي المتبع في تمبكتو كان نظام المزارع.
- تمبكتو كانت تمتلك ثروة نباتية وحيوانية معتبرة تسد حاجياتهم اليومية.

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 278.

(2) Oskar Lenz, op-cit, p 168.

(3) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص 113.

(4) إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 180.

(5) الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص 166.

(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 280.

(7) Mgr.A.Hacquard,op-cit, p 36.

ثانيا: صناعيا

اعتمد سكان تمبكتو في صناعتهم على ما توفره الزراعة و كذا الثروة الحيوانية من خامات ومواد أولية، و كانت في عمومها صناعة بسيطة تنوعت بتنوع المواد الأولية المتوفرة، فمارس أهل تمبكتو الكثير من الحرف والصناعات اليدوية ذات السمة التقليدية الغالبة.

1- الخياطة والنسيج

لقد اهتم التمبكتيون بشكل كبير بصناعة النسيج، وذلك لما توفر لهم من المواد الأولية بصورة محلية كالصوف والوبر والقطن[1]، حيث كان يتم نسج هذه المواد بطريقة بدائية تتمثل في تثبيت خيطين بالإصبع الكبير من الرجل التي تستخدم كدواسة، وغالبا ما تكون منسوجاتهم ممزوجة بصور متنوعة ومنتظمة[2]. وتوجد في تمبكتو كثير من دكاكين الصناع اليدويين وخصوصا دكاكين نساجي القطن[3].

أما عن مهنة الخياطة فلقد كانت تمبكتو من بين أهم المدن السودانية التي تضم أكبر عدد من الخياطين[4]،حيث بلغ عدد الخياطين بها ستة وعشرون خياطا من أصحاب العمل، يستخدم الكثيرين منهم ما بين خمسين ومائة من المتدربين والعمال[5].وهؤلاء الخياطون عادة ما يرافقون السلاطين عند خروجهم للحرب والسلم بقصد خياطة ملابس الجند. ولم يقتصر عملهم على الخياطة فقط بل عملوا على تطريز ألبسة الرجال والنساء[6]،وكانوا يزخرفون هذه الألبسة بالحرير والرسومات المتقنة[7].

اشتهرت تمبكتو بالأقمشة القطنية التي تلون بالأزرق النيلي، وتعرف عند التوارق بالقماش الغيني -ربما كإشارة للمكان المجلوبة منه- وهي كثيرا ما تجد طريقها نحو الخارج إذ نجد منها ما يجهز مخاطا على شكل ملابس كالثوب والجلاب والتي تعرف عند أهل الصحراء بالسودانية. وهناك نوع آخر من هذه الملابس المجهزة يزركش قماشها

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 289.

(2) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p41.

(3) إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة...، ص ص 177، 178.

(4) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 292.

(5) هوبكنز.أ.ج، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية** ، تر: احمد فؤاد بلبع، القاهرة، 1998م، ص 95.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 49.

(7) Mgr.A.Hacquard, op-cit, pp 40, 41.

بمربعات بيضاء، والزرقاء تعرف بالخلعة وتكون ذات خطوط عريضة من اللون الأبيض على الأزرق تعرف باسم (مورو)[1] ، وهذه الأقمشة في تمبكتو لا تصنع إلا من أجل الاستعمال المحلي[2].

أما صناعة الزرابي فقد كانت منتشرة في تمبكتو وتصنع من أصواف الأغنام وشعر الماعز ووبر الإبل، والتي تختص النساء دون غيرهن في ذلك، كما عرفت المدينة صناعة الحصير[3].

2- الحدادة

تقوم على الاشتغال بالحديد الذي يصنع في أكثر من صورة حيث كان الحدادون هم صانعوا أقفال الأبواب، يستلمون الحديد من بلاد المغرب ويصنعون منها فؤوسا وسكاكين وحرابا وسيوفا ومنتوجات صغيرة مطلية بالنحاس[4]،ومعاول الحرث والدروع والخوذات والرماح وحدائد الخيل والمطارق والإبر[5]، وكان يطلق عليهم اسم ديام (Diam) ، أو قارسا (Garassa) كما هو في كامل بلاد السودان الغربي[6]،وكذلك انتشرت صناعة الصناديق والعلب المصنوعة من الحديد الأبيض[7]، إضافة إلى صنع وإصلاح السلاسل[8].

وقد كانت هناك خمسة قبائل اشتغلت بالحدادة وهي القبائل التي أخضعها الأسقيا الحاج محمد الكبير(1493- 1528م) بعد أن كانت تابعة لسني علي(1465- 1492م)، وفرض عليهم ضريبة كل عام، على كل قبيلة مئة رمح ومائة سهم من كل عائلة[9].

---

(1) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص ص 97، 98.

(2) Oskar Lenz, op-cit, p 157.

(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 291.

(4) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 42.

(5) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 290.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 50.

(7) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 41.

(8) Oskar Lenz, op-cit, p 155.

(9) Mahmoud Kati,op-cit, p 57.

3- الصناعات الجلدية:

وكانوا يصنعون أنواعا عديدة من الأحذية والوسائد والحقائب وأغلفة الكبريت و أغمدة السيوف والبنادق....الخ، عملهم له صبغة أصلية في الشكل والزخرفة رغم الأدوات البدائية التي يستعملونها[1]،وتطورت هذه الصناعة الجلدية وكثر محترفوها فصنعوا القرب والآلات الموسيقية خاصة الطبل الذي كان من أهم الآلات الموسيقية لدى سكان بلاد السودان الغربي. وقد جلبوا لأجل ذلك مواد الصباغة من بلاد المغرب ومن مدينة غدامس بليبيا، كما استخدم الصباغون أوراق النبات لإخراج الجلد في أحسن حال وأضافوا لهذه الأصباغ الشب والملح لتثبيت ألوانه[2].ونساء الطوارق يصنعن أشياء جلدية مثل القبعات الكبيرة والجميلة بطريقة متينة، كما كن يشتغلن على الخزف[3].

4- صناعة السفن والقوارب

نشطت صناعة السفن منذ عهد سني علي(1465- 1492م) الذي شجع على صناعتها فأبدع الصناع فيها، وتنوعت أحجامها فمنها الصغيرة والكبيرة[4]، وشهدت هذه الصناعة نشاطا كبيرا في زمن الأسقيا الحاج محمد(1493- 1528م) وخلفائه[5]،وكانت السفن تصنع من أشجار غليظة، بأن تعد الإعداد الجيد وتنظف من بقية الأغصان ثم تصنع بطريقة انسيابية ومنها تصنع القوارب الصغيرة والسفن الكبيرة، وهناك سفن يتفنن فيها الصناع من حيث الأناقة وهي تلك التي يتنقل بها السلطان[6].

---

(1) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 40.

(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 291.

(3) Oskar Lenz, op-cit, p 155.

(4) Mahmoud Kati, op-cit, p 50.

(5) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 293.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 52.

5- صناعات أخرى

ومن الصناعات المهمة في تمبكتو صناعة بعض الأواني من القرع[1] حيث تقسم إلى نصفين ويتم إخراج ما بداخلها ثم تترك الجفنتين لتجفا لتستعمل بعد ذلك كإناء للأكل والشرب، وقد تنقش أحيانا بنقوش حسنة[2].

إضافة إلى صناعة الذهب والفضة التي انتشرت صياغتهما في حي الغدامسية وحومة السوق ونحوها، لأن عقول سكانها راجحة في ذلك[3].كما برزت حرفة البناء فلم يكن لدى البناءين سوى مثقب مسطح وصحيفة للتلبيس خشبية وخيط الاتزان، ورغم ذلك فهم يبنون بشكل مستوي وتلبيسهم للجدران منظم[4].

وهكذا أصبحت مدينة تمبكتو تعج بحوانيت الحياكين والحدادين والجزارين والخرازين ...الخ[5].

وقد كان الكل في تمبكتو يمتلك حرفة وهذه الحرفة تمتهن أبا عن جد، وهي متنوعة ولها زعماء أو أمراء يمارسون سلطة على أعضائها[6]،ففي ميدان الخياطة كان بتمبكتو تعليم مهني منظم إلى حد ما، وقد كان الراغبون في هذه المهنة كثيرين حيث يتراوح عددهم ما بين خمسين إلى سبعين في كل بيت من بيوت تعليم الخياطة[7]. أما في ميدان الحدادة فقد كان الطفل عندما يبلغ سن التاسعة أو العاشرة يوضع عند حرفي من أجل التعلم، ونادرا ما يكون في ورشة أبيه، وهو يعمل لأجل معلمه، ومن حين لآخر تقدم عائلة الطفل هدية لمعلمه إلى حين تعلمه الحرفة، بعدها إما أن يعود ليعمل عند أبيه وإما أن يؤسس بعد زواجه معملا لحسابه الخاص[8].

---

(1) حسب ما لاحظناه فإن القرع المتواجد بتمبكتو ذو شكل دائري وهو لا يشبه القرع الذي عندنا في بلاد المغرب. للمزيد ينظر: برنامج الحضارات القديمة، الجزيرة الوثائقية، عنوان الحلقة: حضارة بلاد الهوسا.

(2) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، دار بيروت، 1400هـ/ 1980م، بيروت، ص ص 679، 680.

(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 290.

(4) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 42.

(5) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 102.

(6) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 40.

(7) عبد القادر زبادية، **ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر**، مجلة الأصالة، العدد 53، السنة السابعة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، صفر- محرم 1398هـ/ جانفي 1978م، ص 19.

(8) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 43.

وفي الأخير يمكن التوقف عند النقاط التالية:

- أن تنوع الصناعات في مدينة تمبكتو كان بتنوع المواد الأولية.

- كان من أبرز الحرف المهنية في تمبكتو حرفة الخياطة، فقد كانت من بين الحرف التي كان لها تعليم مهني منظم إلى حد ما.

- أدى تنوع الصناعات الحرفية في تمبكتو إلى ظهور العديد من الدكاكين التي أصبحت تعج بها المدينة.

ثالثا: تجاريا

كان لاندثار سوق بيرو(ولاتة) دور في تحول التجار إلى مدينة تمبكتو وذلك لموقعها الجغرافي الطبيعي حيث تعتبر نقطة ربط فيها يلتقي الجميع و منها ينطلق، وبذلك أصبحت المدينة سوقا للتبادل التجاري بين تجار الشمال والجنوب لكونها أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب، فبرزت بذلك العديد من المسالك التجارية الرابطة بين تمبكتو ومختلف الأقطار المرتبطة بها.

1- المسالك التجارية

وهي على نوعين:

1-1- المسالك البرية: (ينظر الملحق 2)

لقد كانت الطرق كثيرة ومتعددة، وتباينت مع تغير التاريخ ومراكز الاستقطاب[1]، فكان من أهمها:

- **طريق فاس**[2]**- تمبكتو**: وهي من الطرق التجارية التي يوجد فيها عدد من الآبار المكسوة بجلود الإبل والمبنية بعظامها[3]، ينطلق من مدينة فاس باتجاه تافيلالت[4]، مرورا بمدينة صفروي الواقعة على الضفة الغربية لوادي سبو جنوب فاس، ثم يتجه عبر موقع

---

[1] الجزيرة الوثائقية، برنامج تحت المجهر، عنوان الحلقة: **تمبكتو... جوهرة الصحراء** ، إعداد: عياشي الدراجي.

[2] مدينة مغربية أنشأت زمن دولة الأدارسة على عهد إدريس الثاني، وكان بها واد يعرف بوادي سبو على أساسه قسمت المدينة إلى نصفين، عدوة للقرويين وأخرى للأندلسيين. ينظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار صور، الرباط، 1972م، ص ص 39، 40.

[3] الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 317.

[4] والتي كانت تسمى سجلماسة وهي مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان** ، ج3، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، ص 192.

صغير يقال له المزي، ثم إلى قرية تاسغمرت[1] الواقعة على نهر سبو، ومنها إلى تافيلالت[2]، ثم تغازة[3] ومنها إلى ولاتة وصولا إلى تمبكتو[4].

وتقدر المسافة من سجلماسة إلى تغازة بخمسة وعشرين يوما، ومن تغازة إلى ولاتة بخمسة وثلاثين يوما، ومنه تكون المسافة من سجلماسة إلى ولاتة شهرين كاملين، ومن ولاتة إلى تمبكتو مسافة أربعة وعشرين يوما، وبهذا تكون المسافة الإجمالية على طول الطريق من فاس إلى تمبكتو سبعة وتسعون يوما[5].

وهذا الطريق يعتبر من أهم الطرق التي اشتهرت بتجارة الذهب[6]، وهو أقصر طريق يربط المغرب الأقصى ببلاد السودان الغربي. ومع ذلك فهو لا يخلو من بعض المخاطر التي تواجه التجار، [7] فقد كان من الخطر جدا عليهم أن يقوموا بهذا السفر في غير فصل الشتاء، لأنه تهب في غير هذا الفصل رياح قبلية تحمل معها من الرمال ما يغطي الآبار، حتى أن من يذهب مؤملا أن يجد الماء في الأماكن المعتادة لا يعثر على الآبار التي غطتها الرمال، ويكون مضطرا إلى أن يواجه الموت عطشا[8]. لذلك اعتاد المسافرون أن يحملوا معهم على ظهور الجمال مؤونة من المياه تكفيهم سبعة أيام، بيد أنه حتى هذه الكمية كانت تنفذ في بعض الأحيان، عندئذ كانوا يرغمون على ذبح الجمال واستعمال الماء الذي تختزنه[9]،إضافة إلى انتشار الذباب خاصة في الجزء الذي يربط بين تغازة وولاتة[10].

---

(1) عنها ينظر: مجهول المؤلف، **الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)** ، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 193.

(2) أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، مج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ص 331.

(3) تبعد مسيرة عشرين يوما عن تمبكتو. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 108.

(4) عبد القادر زبادية، **ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري**، مجلة الأصالة، العدد 41، وزارة الشؤون الدينية، ص 145.

(5) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 58.

(6) وهو الطريق المعروف ب"طريق الذهب". ينظر: عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 323.

(7) جميلة بن موسى، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري(9م- 11م)** ،أطروحة ماجستير ، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2000م، ص 185.

(8) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 76.

(9) ك.مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 380.

(10) جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص 185.

- **طريق مراكش - تمبكتو:**

إن القوافل التجارية القادمة إلى تمبكتو من مراكش تمر في الغالب على مدينة تافيلالت[1]، ومنها تنطلق إلى تمبكتو عبر تيميمون[2]وعين صالح[3] أو عبر وادي درعة[4] لتأخذ بعد ذلك اتجاها نحو أودغشت[5] فولاتة انتهاءا عند تمبكتو[6].

وقد يصل عدد الجمال في بعض الأحيان إلى عشرة آلاف جمل في الرحلة الواحدة[7].

- **طريق تلمسان - تمبكتو:**

يبدأ من تلمسان مرورا بغرداية وتوات[8]. فقد جرت العادة أن تخرج في كل عام قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق مدينة تمبكتو. تخرج القافلة الأولى في النصف الأول من السنة والثانية في النصف الثاني[9]، وتمر القافلة المتجهة نحو مدينة تمبكتو بمنطقة المبروك[10] وأروان[11]، وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمنا، ولذلك كانت قوافل الإقليم التواتي تسلكه عند سيرها نحو تمبكتو مرورا بتاودني[12].

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 29.

(2) بلدة كبيرة بها سوق عظيم وفيها التمر وهي واحة رئيسية بتوات. للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1990م ،ص 258.

(3) تأتي بعد توات في الجنوب ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب. ينظر: نفسه، ص 258.

(4) Lucien Hurbert et Maurice, op-cit, p 07.

(5) مدينة بين جبلين في قلب البر جنوبي مدينة سجلماسة، بينهما نيف وأربعون مرحلة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 277، 278.

(6) حسن الصادقي، **أضواء على مماليك غرب أفريقيا وعلاقاتها ببلاد المغرب**، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ص 05.

(7) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 29.

(8) عبد القادر زبادية، ورقلة عروس مدائن...، ص 145.

(9) فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 79.

(10) هي واحة ومحطة رئيسية للقوافل المتجهة نحو أروان في الغرب، وتمبكتو في الجنوب. ينظر: حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 52. الهامش44.

(11) مدينة تقع على بعد 250 كيلو متر في شمال تمبكتو. ينظر: Mahmoud Kati, op-cit, p 37.

(12) فرج محمد فرج، المرجع السابق، ص 91.

وسيطر على هذا الطريق قبيلة مسوفة[1]، ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمل وحمل، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان، وظلوا يسيطرون عليه حتى القرن 8هـ/ 14م[2].

وفي الغالب تمكث القافلة هناك حوالي ثلاثة أشهر، تستبدل أثناءها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تمبكتو، وتعود القافلة سالكة نفس طريق الذهاب، وتدفع الضرائب على ما تحمله من سلع الجنوب النادرة[3].

- **طريق طرابلس- تمبكتو**:

ينطلق هذا الطريق من طرابلس عبر الجنوب الشرقي لمدينة غدامس[4]، ثم يتفرع إلى فرعين، الطريق الشرقي والطريق الغربي وهذا الأخير أقرب مسافة من سابقه، إلا أنه معرض لهجمات اللصوص وقطاع الطرق من قبائل ورقلة[5] و الشعابنة[6] والطوارق، وهذا ما يحتم على القوافل أن تتبع في كثير من الأوقات الطريق الشرقي الذي يسوده الأمن رغم بعد مسافته[7] حيث كان الطريق الغربي ينطلق من طرابلس ثم غدامس، ومنها إلى عين صالح وتوات بالجنوب الجزائري ثم إلى تمبكتو[8]، وتقطع الرحلة في ستة وأربعين يوما، أما الطريق الشرقي فيبدأ من غدامس إلى تمبكتو ما بين أربع وخمسين إلى واحد وستين يوما وذلك حسب مسير القافلة[9].

---

(1) وهي من قبائل البتر البربرية. للمزيد ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 114.

(2) نبيلة حسن محمد، **في تاريخ أفريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010م، ص 148.

(3) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 29.

(4) بلدة كبيرة مبنية بالطين أو الطوب، فيها تمور كثيرة وسكانها يتكلمون البربرية، وفيها سوق عظيم وبها عدد كبير من العلماء والطلبة. ينظر: ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج2، ص 261.

(5) كانت تسمى ورجلان وهي بلد متسع الخطة، معين على الزرع، مستبحر العمارة، نافق الأسواق. للمزيد ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 132.

(6) هي تلك القبائل الجزائرية المتمركزة في المنطقة الصحراوية الواقعة ما بين متليلي والقليعة،وورجلان، ووادي سوف، وتلعب هذه القبائل دورا مهما في التجارة الصحراوية. ينظر: حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 87.

(7) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 51.

(8) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 29.

(9) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 52.

وكانت العلاقات التجارية بين طرابلس وغدامس وبين مدينة تمبكتو مزدهرة منذ القدم، وكانوا يتوافدون على مدينة تمبكتو لغرض التجارة والاستقرار، وقد كان لهم حي يعرف باسم (حي الغدامسية) من أرقى الأحياء في مدينة تمبكتو[1].

وقد كانت القوافل على نوعين، الأولى تتكون من مئة إلى مئة وخمسين جملا، وهي القوافل الصغيرة. أما القوافل الكبيرة فيتعدى عدد الجمال فيها ليصل إلى ألفي جمل وقد تصل إلى ضعف العدد في الرحلة الواحدة[2].

- **طريق ورقلة- تمبكتو**:

ينطلق هذا الطريق من ورقلة إلى تغازة فأودغشت فتمبكتو، ولم يقتصر هذا الطريق على تجار ورقلة فقط بل حتى على تجار تونس خاصة واحات الجريد، فهؤلاء كان لهم طريق إلى تمبكتو عن طريق توزر[3] أو غدامس، فصحراء الهقار ثم إلى مدن بلاد السودان الأوسط والغربي.ورغم أن هذا الطريق هو الأقرب بالنسبة لسكان واحات الجريد مثلا، إلا أنه قليل الفائدة بالنسبة للقوافل[4]إذ ليست فيه محطات تجارية كثيرة يبادل فيها التجار بضائعهم، لذلك سلكوا الطريق الثاني والذي ينطلق من توزر أو غدامس في اتجاه أودغشت وغانة وغيارو[5]وكومبي صالح[6] وتادمكة[7]، ولكن عبر ورقلة وتافيلالت. فيتحمل التجار مشقة السير في الصحراء من ورقلة إلى تافيلالت للتزود بالملح من

---

(1) إصلاح محمد البخاري، **انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء(تنبكت- غدامس أنموذجا)**، ط1، الشركة العامة، 2004م، ص 97.

(2) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 29.

(3) مدينة في أقصى افريقية من نواحي الزاب الكبير، من أعمال الجريد معمورة بينها وبين نفطة عشرة فراسخ. ينظر: عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية(1661- 1663م)**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج1، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، 2006م، ص 111.

(4) إبراهيم فخار، **تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى**، معهد البحوث والدراسات العربية، ص 64.

(5) وهي مدينة على بعد 12 ميل من نهر النيجر، وفيها كثير من المسلمين. ينظر: مجهول المؤلف، المصدر السابق، ص 221.

(6) وهي المتعارف عليها بعاصمة مملكة غانا

(7) في بلاد السودان، وهي أشبه ببلاد الدنيا مكة، ومعنى تاد عندهم هيئة، أي هيئة مكة. ينظر: محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 168.

منـــــــاجم تغازة لبيعه في تمبكتو. فورقلة كانت من أهم العواصم التجارية التي تلتقـــي فيها القوافل من تيهرت وتلمسان وفاس[1].

وكانت قبائل الشعابنة تسيطر على ثلاث طرق تجارية أساسية تربط منطقة الـــشمال ببلاد السودان الغربي، وتتمثل في الطريق الغربي الذي ينطلق من المغرب الأقصى متجها نحو تمبكتو عبر واحة تافيلالت، والطريق الأوسط المتجه نحو تمبكتو انطلاقا من غرداية، ثم الطريق الشرقي الذي ينطلق من طرابلس إلى غدامس ثم إلى عين صالح متجها نحـــو تمبكتو[2].

إضافة إلى هذه الطرق فقد كان هناك طريق من مصر يمر بكانم[3] إلى تمبكتـــو[4]، حيث يمتد من حد مصر الجنوبي عند أسوان إلى مالي وتافيلالت مارا بدنقلة[5] ومنها إلى مالي ثم تمبكتو[6].

وقد كان لتمبكتو علاقات تجارية مع اسبانيا وذلك عبر الطريق الغربي الـــذي يمـــر بالمغرب الأقصى[7]. ومنذ القرن 9هـ/ 15م كانت تمبكتو قد دخلت في علاقات تجارية مع ايطاليا، عن طريق تونس وطرابلس[8].

وكانت هناك الأطراف الجنوبية لطرق التجارة. مثل كانو[9] وجـــاو[10] ففـــي هـــذه المراكز التي كانت تقع بالقرب من الصحراء كانت السلع المتجهة شمالا تعبـــأ وتـــشحن، والسلع المتجهة إلى الجنوب تنقل وتقسم بين قوافل أصغر حجما من أجل إعادة التوزيـــع

---

(1) الياس بن عمر حاج عيسى، **مدينة ورجلان(دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية في الفتـــرة (4-10هـ / 10-16م)** ، أطروحة ماجستير(غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1429- 1430هـ/ 2008- 2009م، ص ص 80، 81.

(2) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 37.

(3) "وهي من السودان، وقد أسلموا بعد 500 هـــ/ 1106م وهي مجتمع الرفاق واليها يجلب الرقيق، ومنها يخرج إلـــى بلاد افريقية وغيرها من البلاد".ينظر: مجهول المؤلف، المصدر السابق، ص 146.

(4) إصلاح محمد البخاري، المرجع السابق، ص 100.

(5) وهي نفسها دمقلة وهي مدينة كبيرة في بلاد النوبة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 470.

(6) شوقي عبد القوي عثمان حبيب، **التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (1250- 1517م/ 648-922هـ)** ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص 67.

(7) الجزيرة الوثائقية، المرجع السابق.

(8) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى...، ص 315.

(9) إقليم كبير على بعد نحو 500 ميل شرقي النيجر. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 173.

(10) تقع شرقي نهر النيجر، وكانت تعرف بكوكو. للمزيد ينظر: أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، **كتـــاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 93.

في أجزاء أخرى من بلاد السودان الغربي[1].ورغم شهرة هذه الطرق ومرور القوافل بها، فإنه كان لابد من وجود دليل خبير بالطريق وسط مجاهل الصحراء ليعرف الاتجاه الصحيح، وموضع آبار الماء بصفة خاصة، حتى لا تتيه القوافل في الصحراء[2].

وقد تعرضت طرق القوافل بعد عام 1590م للفوضى واختلال الأمن، بعد انهيار إمبراطورية السنغاي الإسلامية(1492- 1591م)، عندما نجحت جيوش سلطان مراكش أحمد المنصور السعدي(1578- 1603م)[3] في الاستيلاء على مناطق نفوذ تلك الإمبراطورية والسيطرة على عاصمة الصحراء الكبرى تمبكتو[4].

1- 2- المسالك النهرية:

كان لوقوع تمبكتو على منحى نهر النيجر دورا في تنشيط الحركة التجارية النهرية بها، حيث كان لتمبكتو أربع موانئ نهرية: ميناء كوريوم والذي ينشط من شهر ماي إلى سبتمبر، لينشط بعد ذلك ميناء داي من شهر سبتمبر إلى نوفمبر، أما ميناء كابرة[5] فقد كان ينشط من شهر نوفمبر إلى أفريل، وفي كل ثلاث سنوات فإن تمبكتو تكون ميناء للتفريغ والشحن في شهري جانفي و فيفري[6].

وكانت كابرة هي الميناء الخاص بتمبكتو على عهد الأسيقيين، ومنه كانت تحمل القوارب بالبضائع التي تصدر إلى مختلف البلدان الواقعة حول نهر النيجر، ويبعد الميناء عن المدينة إلى الجنوب بحوالي اثني عشر ميلا[7]، وكان الميناء أيضا ملتقى للبضائع القادمة من بلاد المغرب، ومنها تتجه إلى مالي وحوض النيجر الأعلى، والى هذا الميناء تصل بعض البضائع الأفريقية المنقولة عبر نهر النيجر في طريقها إلى بلاد

---

(1) هوبكنز، المرجع السابق، ص 168.

(2) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 05.

(3) ولد أحمد المنصور بالله السعدي المعروف بالذهبي بفاس سنة 956هـ، تولى حكم الدولة السعدية بالمغرب الأقصى سنة 986هـ، من أشهر أعماله مشاركته في معركة وادي المخازن، وتسييره حملة للاستيلاء على بلاد السودان الغربي. للمزيد ينظر: أبو العباس احمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى(الدولة السعدية)** ، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 89 وما بعدها.

(4) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 32.

(5) تقع هذه المدينة على ضفاف النيجر على بعد زهاء أربعة فراسخ من تمبكتو، وبها ترسو السفن المحملة بالبضائع الواردة من المناطق الداخلية. ينظر: مرمول كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 204. أما بقية الموانئ فلم نعثر على تحديد لمواقعها.

(6) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 12 .

(7) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 105.

المغرب[1]، وكانت ترسو فيه السفن الداخلة والخارجة، ويشكل الميناء موردا مهما بما يحصل عليه من ضرائب على البضائع والركاب[2].

وفي فصل الشتاء كانت الملاحة النهرية أسهل من فصل الصيف، ويرجع ذلك لارتفاع منسوب مياه نهر النيجر، حيث تستطيع السفن المحملة بالبضائع السير بهدوء ويسر في النهر، ويعتبر شهر ديسمبر من أفضل أشهر السنة[3]، ربما كونه أفضل مواسم التساقط . وكان الممر المائي الداخلي الأكثر حركة ونشاطا هو الجزء الأوسط من نهر النيجر، الذي يربط تمبكتو بالمركزين التجاريين والإداريين جني على بعد 250 ميلا أعلى النهر، وغاو(حوالي نفس المسافة في اتجاه مجرى النهر)[4].

وكان تجار تمبكتو يجلبون بضائعهم في مراكب صغيرة ضيقة جدا مصنوعة من نصف جذع شجرة مجوفة، وكانت هناك زوارق كبيرة تستطيع حمل ونقل ستة أطنان من السلع وعددا كبيرا من المسافرين[5].

2- المبادلات التجارية:

2- 1- الصادرات: كانت تمبكتو تصدر العديد من السلع منها:

أ- الذهب: يعتبر الذهب السلعة الأولى التي جذبت إليها التجار منذ عهد الفينيقيين، حيث كانوا يتاجرون في الذهب مع بلاد السودان الغربي، فأصبح الذهب محور تجارة بلاد السودان عبر الصحراء مع بلاد المغرب[6].

وتم استخراج الذهب في بلاد السودان الغربي منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، ولم يحدث توسعا ملحوظا في الإنتاج إلا حوالي القرن 2هـ/8م، وذلك مع تطور الاتصالات التجارية مع مختلف الأقطار، وكان الجزء الأكبر من الناتج المحلي يتم تصديره[7].

---

(1) شوقي عبد القوي عثمان، المرجع السابق، ص 38.

(2) Mahmoud Kati, op-cit, p 231.

(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 335.

(4) هوبكنز، المرجع السابق، ص 144.

(5) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 62.

(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 319.

(7) هوبكنز، المرجع السابق، ص 89.

أما مصادر الذهب الأصلية فهي:

- منجم ذهب البامبوك: ويقع بين نهر السنغال الأعلى وفرعه فاليمي.
- منجم بوري: عند ملتقى نهر النيجر الأعلى[1].
- منطقة لوبي في السودان الغربي.
- منطقة اشانتي في الغابات[2]. (انظر الملحق 3)
- منطقة ونقارة[3] التي تعتبر مصدرا من مصادر الذهب[4].ومنطقة ونقارة تعني أرض الذهب، وتعني أيضا كل الناس القادمين من أرض الذهب[5].

ويرجح المحدثون أن تكون ونقارة الإدريسي هي حقول الذهب في بامبوك[6]، و يذكر حسن الصادقي أن ونقارة التي أشار إليها الإدريسي هي معدنا البامبوك وبوري، وقد كان هذين المنجمين هما اللذان يزودان بلاد المغرب بالذهب[7].

وكان الذهب متوفرا بكثرة في أسواق سنغاي على أيام الأسيقيين[8]، حيث يذكر صاحب الاستبصار أن معدن الذهب ترابه أحمر، ويستخرج كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة[9]، وقد ذكر العمري أن معدن الذهب يوجد على نوعين :« نوع في زمن الربيع عقب الأمطار ينبت في الصحراء، وله ورق شبيه بالنجيل أصوله التبر[10]، والنوع الآخر يوجد في جميع السنة في أماكن معروفة على ضفاف مجاري النيل[11]، فيحفر هناك حفائر، فتوجد أصول الذهب كالحجارة والحصي فيؤخذ، وكلاهما

---

(1) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 04.
(2) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 68.
(3) وهي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 150 ميل. ينظر: الشريف الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس(مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)** ، مطبعة بريل، ليدن، 1862م، ص 06. ينظر كذلك: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 679.
(4) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 04.
(5) جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص 100.
(6) نبيلة حسن محمد، **في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، ص 211.
(7) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 04.
(8) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 282.
(9) مجهول المؤلف، المصدر السابق، ص 219.
(10) وهو الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغا، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة، أو ما يستخرج من المعدن قبل أن يصاغ. ينظر: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج1، دار العلم للجميع، بيروت، ص 379.
(11) وهو نهر النيجر. ينظر: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 320.

هو المسمى بالتبر، والأول أفحل في العيار، وأفضل في القيمة»[1]. وهو نفسه ما أشار إليه القلقشندي[2].

وذكر ابن حوقل أن الذهب ينبت ببلاد غانة في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف حين بزوغ الشمس[3].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا نوعا من المبالغة في هذه الروايات، حيث أنه لا يمكن للذهب أن ينبت، بل هو معدن مستخرج ولعل مرد ذلك الإشارة إلى الوفرة غير المتناهية.

فهذه الروايات تعبر عن كثرة الذهب في بلاد غانة التي أطلق عليها الكتاب اسم (أرض الذهب) أو (معدن الذهب)[4] ،والدليل على ذلك أن منسا موسى(1313- 1338م) أخذ من بلده ثمانين حملا من التبر في كل حمل ثلاثة قناطير، ويتولى حمل التبر العبيد في أوطانهم فقط، أما في السفر البعيد كالحج فيحمل على المطايا[5].

وقد كان الذهب يحمل على رؤوس العبيد من مناطق إنتاجه إلى جني[6]، ومنها بالقوارب إلى تمبكتو، ومن تمبكتو ينقل على ظهور الجمال إلى بلاد المغرب، وهناك ربما يضرب عملة للتداول المحلي أو يعاد تصديره إلى أوروبا. وقد كانت تافيلالت المركز الرئيسي في الشمال الغربي لتجارة الذهب[7].

لقد كانت موارد الذهب في بلاد السودان الغربي تغذي التيارات الرئيسية للتموين بالمعدن الثمين منذ نهاية القرن 2هـ/ 8م، وخصوصا منذ القرن 3هـ/ 9م، حيث يصل إلى بلاد المغرب عن طريق عدد من المدن الصغيرة التي تقع على أطراف الصحراء، كما يتجه ذهب بلاد السودان الغربي إلى مصر والى منطقة ما بين النهرين والى مراكز

---

(1) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج1، ص 118.
(2) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 289.
(3) أبي القاسم النصيبي ابن حوقل: **صورة الأرض**، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ، ص 87.
(4) نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 209.
(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 268.
(6) تقع على مسافة مائتي ميل جنوب تمبكتو، وهي مدينة عظيمة تحدها تمبكتو من الشرق والشمال والغرب. ينظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص ص 11، 12.
(7) الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 88.

تجارة المرور التي تتلقى سلعا تأتيها من البلدان الواقعة خارج العالم الإسلامي مثل اسبانيا، ويتجه كذلك إلى المراكز السياسية الهامة، والى بلاط الملوك والأمراء[1].

وكان الذهب يصدر في الرقيبات التي هي أكياس جلدية تصنع من جلد البعير، وتستعمل في نقل وحفظ الأشياء الثمينة، وفي المزواد والعلب[2].

وكان الملوك يحتكرون الذهب، فهو ملك للسلطان، تجمعه الرعية ولا يسمح لهم بأخذ شيء منه إلا بإشرافه، لئلا يكثر الذهب بأيدي الناس فتقل قيمته، وكان مع الملك منسى موسى(1313- 1338م) ملك مالي ثلاثة آلاف شاب، كل واحد منهم يحمل مثقال من الذهب في رحلته للحج، وهو الذي أنزل سعر الذهب في القاهرة بما حمله معه من ذهب وما أهدى منه، ولذلك كان السلاطين يحاولون التحكم في الكميات التي ترد على الأسواق حتى يحافظوا على السعر، وقد أدى احتكارهم للذهب إلى ظهورهم بمظهر الثراء المترف[3].

كما كان ذهب السبائك يعد من ممتلكات التاج، وأما الذي يباع أو يصدر إلى بلاد المغرب فهو فقط الذهب الرقيق (البودرة)[4].

وهكذا فقد لعبت تجارة الذهب دورا كبيرا في تنمية العلاقات بين مختلف الأقطار وبلاد السودان الغربي.

ب- العبيد (الرقيق): يعتبر العبيد أحد السلع التجارية الهامة منذ أقدم العصور[5]، ومحل اهتمام التجار والملوك والميسورين على حد سواء، فقد كانوا قوة منتجة لا يمكن الاستغناء عنها في معظم المجالات الحيوية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية[6]. وقد وجد نوعان من العبيد، منهم عبيد ملك للأسقيا وهؤلاء أخضعهم الأسقيا الحاج محمد

---

(1) موريس لومبارد، **الإسلام في مجده الأول(القرن 8م – 11م/ 2- 5هـ)** ، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص ص 174، 175.

(2) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 97.

(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص 321، 322.

(4) روسيل وورين هاو، **تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا**، تر: عبد الوهاب محمد الزنقاني، دار غريب، القاهرة، 2009م، ص 65.

(5) أمطير سعد غيث، **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين 14و 16م** ، ط1، دار الرواد، بنغازي، 1937م، ص 144.

(6) بشار قويدر، **القوافل التجارية المغاربية(طبيعة التجارة وآثارها)** ، مجلة طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطبعة عمار قرفي، الجزائر، 2001م، ص 15.

(1493- 1528م) عند انتصاره على سني علي(1465- 1492م)، وهي أربعة وعشرون قبيلة وكل قبيلة مكلفة بعمل معين، فمنهم من يعملون في القرى الفلاحيـــة، ومـــنهم مـــن يؤدون الواجبات المنزلية، وآخرون مكلفون بصناعة الأسلحة. إلا أن عبيد القرى الفلاحية يتمتعون بنوع من الحرية، فمنهم أسياد في حقولهم، وأحرار في نشاطاتهم، وقد يعتق العبد بحسب أمانته أو ورعه[1].

ولعله قد يكون من الصعب تقدير حجم هذه التجارة، فقد كانـــت الطـــرق العـــابرة للصحراء الكبرى في القرون الوسطى تنقل أعدادا من الرقيق بلغت حوالي المليونين[2].أما سعر العبيد فقد بلغ في فترة حكم الأسقيا داود(1549- 1582م) عـــشرة دنـــانير للعبـــد الواحد[3].

ويتم الحصول على العبيد بطرق مختلفة منها:

- الحروب الدائمة بين حكام الممالك وزعماء القبائل.
- استيلاء أقوياء بعض القبائل على السكان الضعفاء، وبيعهم في الأسواق.
- عن طريق الصيد، وكان ذلك ضد القبائل الغير مستقرة[4].

ولم تقتصر تجارة الرقيق على عنصر الذكور فقط، بل حتى الإناث، ولم تكن أسعار العبيد مستقرة لأن المتحكم فيها عوامل كثيرة، منها ما هو متعلق بالعبـــد نفـــسه، وهـــي المواصفات والخصائص الجسمية والعقلية التي يمتاز بها، ومنها ما هو متعلـــق بقـــانون العرض والطلب[5].

وقد أفتى العديد من العلماء والفقهاء، ومنهم أحمد بابـــا التمبكتـــي(1556- 1627م) بعدم جواز تجارة الرقيق(العبيد)[6].

---

(1) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 69.
(2) هوبكنز، المرجع السابق، ص 165.
(3) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 69.
(4) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 99.
(5) الياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص 97.
(6) أحمد بابا التمبكتي، **مخطوط (الكشف والبيان بحكم مجلوب السودان) أو(معراج الصعود إلى نيل حكـــم مجلـــوب السود)** ، المكتبة الوطنية، الرباط، 1023هـ/ 1614م، رقم 1079. (ينظر الملحق: 4)

ج- صادرات أخرى: إلى جانب تصدير الذهب والعبيد، فقد اشتهرت تمبكتو أيضا بتصدير عدد من السلع الأخرى التي اعتمدت عليها تجارة الصحراء مثل: الأبنوس[1] والعاج[2] الذي كان متوفرا بكميات كبيرة جعلت الناس يصنعون منه أواني الشرب ويزينون به الخيل، وكان من الكماليات المرغوب فيها ببلاد المغرب، ويتم تصديره للمغرب الأقصى ومنه إلى أوروبا، ويعتبر أهم صادرات بلاد السودان الغربي زمن دولة سنغاي(1493- 1591م)[3] ، إضافة إلى تصدير ريش النعام[4] و جوزة الكولا[5]، وبيض النعام و الشب والقطن والجلود والفول السوداني والزبد والعنبر وغيرها[6].

2-2- الواردات: كانت تمبكتو تستورد العديد من السلع أهمها:

أ- الملح: كان الملح معدوما في داخل بلاد السودان الغربي لهذا كان التجار يجلبونه[7]،لأن تناوله بانتظام من ضروريات البقاء، والحرمان منه مشكلة، خاصة في المناطق الحارة[8]، وارتبط الملح بالذهب ارتباطا وثيقا، لكن هذا الارتباط لا يعني وجودهما في مكان واحد أو قربهما، بل هذا الارتباط راجع إلى أن الملح كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب والذين يدفعونه للحصول على الملح[9]، حيث ذكر ابن بطوطة أن أهل بلاد السودان الغربي يتصارفون بالملح كما يتصارف بالذهب والفضة[10] وذلك «لأن الملح يستخدم في تجفيف الطعام والمحافظة عليه فضلا عن إعطائه مذاقا خاصا، ولم يكن في الإمكان الحصول على الملح جنوب الصحراء إلا بعملية شاقة، أي تقطير الحشائش. ومن ثم ظهرت أهمية الملح في الصحراء، وبلغت لدى السودانيين درجة كبيرة تقدر فيها قيمة الذهب بقوته الشرائية للملح ولم تكن رواسب الملح

---

(1) أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، ص 118.
(2) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الأفريقية**، ط2، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص 221.
(3) هوبكنز، المرجع السابق، ص 323.
(4) إسماعيل العربي، **مسالك الإسلام والعروبة إلى الصحراء الكبرى**، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1401هـ/ 1981م، ص 41.
(5) الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 89.
(6) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 145.
(7) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 289.
(8) هوبكنز، المرجع السابق، ص 92.
(9) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 04.
(10) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 674.

الطبيعية قليلة في بلاد السودان الغربي فحسب، بل كانت مركزة في مساحات صغيرة ومن ثم كان لابد من الحصول عليه من خارج الإقليم»[1]، وقد تركز تواجد الملح في عدة مناطق أهمها:

- **مملحة أوليل**: تعتبر المصدر المهم لتزويد بلاد السودان الغربي بالملح، وبسبب وقوعها في آخر غرب بلاد السودان الغربي، فقد كان من الصعوبة بمكان وصول ملحها إلى أطراف بلاد السودان الغربي النائية جنوبا وشرقا لعدم توفر المواصلات التي تسير ذلك، وكان التكرور يتاجرون في ملح أوليل على نهر السنغال[2]. ويقدر طول المملحة 80 كلم، وعرضها 10 أمتار تقع على المحيط الأطلسي، ملحها ذو نوعية وجودة عالية، يصدر منذ القرن 8هـ/ 14م نحو تمبكتو[3].

- **مملحة تاوديني**: تقع جنوب تغازة وشمال غرب مدينة تمبكتو، وتبعد بحوالي ثلاثة أسابيع من السير عن تمبكتو[4]، يأتي الملح إلى تمبكتو محملا على الجمال من مدينة تاوديني في صفائح تزن الواحدة منها 30 كلغ، وسعرها يتراوح من 15 إلى 35 فرنك حسب الجودة والحجم والندرة و عملية نقل الملح يتكفل به البرابيش[5]، وهم يذهبون مرتين في السنة إلى تاوديني ويحملون قوافلهم بالصفائح ويأتون إلى تمبكتو[6].

وكان الجمل يحمل أربعة ألواح من الملح، لوحان لكل جانب، وطول اللوح حوالي 1.20م، وعرضه حوالي 0.6م[7].

- **مملحة تغازة**: تبعد مسيرة عشرين يوم عن تمبكتو[8]،« ومعدن الملح فيها يحفر عليه في الأرض، فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض، يحمل الجمل منها لوحين، ولا يسكنها إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح»[9]،كما

---

(1) محمد عبد الغني سعودي، **قضايا أفريقيا**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980م، ص 65.
(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 325.
(3) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 64.
(4) نفسه.
(5) عنها ينظر: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص 250، 251.
(6) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 50.
(7) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 64.
(8) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 108.
(9) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 674.

ذكر الوزان بأن هناك « مستخدمون لاستخراج هذا الملح، وليسوا من سكان البلدة، بل هم من أصل أجنبي، يأتون مع القوافل ويقيمون هنا كمنجميين يستخرجون الملح ويحتفظـــون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم ومن هنا يحمل إلى تمبكتو التي يعوزها الملـــح كثيـــرا، يحمل كل جمل أربع قطع من الملح»[1].(ينظر الملحق: 5)

وقد استخدم العبيد في مملحتي تاوديني و تغازة من أجل قطع قضبان الملح وتحميلها، وكان العمل شاقا إذ كان الجو شديد الجفاف في تغازة لدرجة أنه حتى بعض المباني كانت تبنى من الملح[2].

وكان الملح بعد وصوله إلى تمبكتو يباع جزء منه بهـــا و يحمـــل الجـــزء البـــاقي بالقوارب عن طريق نهر النيجر إلى جني، ومنها يحمل على رؤوس العبيد إلى منـــاطق الذهب ليتم استبداله بهذا المعدن النفيس[3].

وكان سعر الملح يختلف باختلاف المكان الذي يباع فيه فهو رخيص في تغازة وكلما بعد ارتفع ثمنه، حتى يصبح الحمل بأربعين مثقالا من الذهب في مالي[4]،فقد كـــان حمـــل الملح يباع في ولاتة من 8 إلى 10 مثاقيل[5]، وفي الفترة التي كان الحسن الـــوزان فـــي تمبكتو كان سعر حمل الملح بثمانين دينارا[6].

وأورد الهادي المبروك الدالي أن أسعار الملح انخفضت في تمبكتو بعد سقوط سنغاي عام 1591م فبيعت الكمية بـــ 35 مثقال، وفسر ذلك بأنه لا يدل على كساد التجارة، وإنما يعود إلى أن القوافل المغربية الحاملة للملح قللت من سعره[7].

ب- الخيل : يستورد سكان تمبكتو الخيول الأصيلة من بلاد المغرب، وهي ترافق القوافل التجارية[8]،خاصة من المغرب الأقصى[9]، وعندما تصل إلى تمبكتو بعد عشرة أيـــام أو

---

(1) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 108.
(2) هوبكنز، المرجع السابق، ص 93.
(3) الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 85.
(4) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 64.
(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 678.
(6) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 166.
(7) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 329.
(8) إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة...، ص 180.
(9) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 333.

اثني عشر يوما تعرض على الملك ليأخذ ويختار منها العدد الذي يريده ويدفع فيه ثمنا مناسبا[1].

والحصان يساوي سعره أكثر من العبد[2]، حتى أن الرحالة ابن بطوطة لم يستطع شراء حصان لترحاله من مالي، إذ كان عليه أن يسدد مبلغا قدره مئة مثقال من الذهب ثمنا للحصان[3].

وامتلاك الخيل كان ينم عن مظهر من مظاهر الثراء، وكان تجار الخيل يحصلون على أرباح وفيرة من جراء هذه التجارة[4].

ج- التمر: كان إنتاج التمور لمملكة سنغاي في عهد الأسيقيين(1493- 1591م) لا يفي حاجيات السكان، لذا كانت المملكة تستورد منه كميات كبيرة من الواحات الصحراوية خاصة منها تلك الواقعة في بلاد المغرب[5].فكانت ترد التمور إلى تمبكتو بصورة أكبر من ورقلة، وقد أخذت شهرة كبيرة في أسواقها[6].

كما كانت ترد على تمبكتو تمور بسكرة، وذلك من خلال ما ذكره محمود كعت أن التمر كان يباع في تمبكتو في عام 1594م لكل عشر تمرات من تمر بسكرة خمس ودعات[7].

أما إن قلّ ورود القوافل المحملة بأنواع التمور، أو كان المنتوج في سنة من السنوات ضعيفا، فإن ذلك حتما يؤدي إلى ندرته وغلائه في أسواق بلاد السودان الغربي، وربما بلغ الأمر إلى بيعه بالحبات[8].

د- الكتب والمخطوطات: كان يوجد في تمبكتو سوق رائجة للمخطوطات العربية من الكتب التي تأتيها من بلاد المغرب[9]و مصر والحجاز وكانت أثمانها مرتفعة خاصة في

---

(1) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 166، 167.
(2) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 67.
(3) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 691، 699.
(4) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 333.
(5) عبد القادرية زبادية، مملكة سنغاي...، ص 177.
(6) Mahmoud Kati, op-cit, p 219.
(7) Ibid, p 319.
(8) الياس بن عمر حاج عيسى، المرجع السابق، ص 91.
(9) إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة ...، ص 180.

عهد دولة سنغاي(1493- 1591م)[1] ، وكانت الكتب في عهد الاسقيا الحاج محمد الكبير(1493- 1528م) أغلى البضائع مما يدل على المستوى الثقافي الذي أصبحت عليه المدينة آنذاك[2]، نتيجة ازدهار العلوم التي كانت تدرس في جامعاتها ومدارسها، حيث كانت تجارة الكتب فيها أكثر جلبا للربح من أية سلعة أخرى[3]، فأثمانها تزيد عن أثمانها في بلاد المغرب، وقد تصل إلى الضعف ونصف الضعف تقريبا[4]. فقد طلب محمود كعت من الأسقيا داود(1549- 1582م) أن يشتري له نسخة القاموس بثمانين مثقالا[5].

كانت الكتب تحمل إلى تمبكتو ثم تنسخ وتباع في أسواق المدينة، وكانت تلقى إقبالا كبيرا من الطلبة والمنشغلين بالعلم والسلاطين والأمراء[6].وكانت تجارة الأوراق التي يكتب عليها تأتي من أوروبا إلى تمبكتو عن طريق طرابلس الغرب، ولذلك لوحظ وجود عدد من المصاحف بخطوط مختلفة مما يعني اختلاف أماكنها[7].

هـ- واردات أخرى: كان يرد إلى تمبكتو سلع أخرى مثل: حايك فاس و أحزمة من الصوف أو الحرير وجميع أنواع الكتان والشاش والمناديل الحريرية و السجاد و الكمثرى و الريحان و العنبر و الورود الجافة و الجاوي و التوابل و البخور و المسك و التبغ من مكناس و الشب و القصدير و أكواب النحاس و المرجان الأسود والحلي للنساء[8]، إضافة إلى ذلك كانت ترد منتوجات أخرى تشمل الحبوب و المصنوعات المعدنية والجلدية وصنوفا من أنواع الزجاج والأصداف والخواتم والقطران والأخشاب[9].

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 329.

(2) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 102.

(3) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 40.

(4) عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء (دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 36.

(5) Mahmoud Kati, op-cit, p 201.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 67.

(7) محمد محمود، **العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى**، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، مر وتق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م، ص 50.

(8) Marcel Emerit, **Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes**, T11, Alger, 1954, p 31.

(9) أمين توفيق الطيبي، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، ج2، الدار العربية للكتاب، 1997م، ص ص 188، 189.

وكانت الأقمشة القطنية تأتي إليها من أوروبا عبر قوافل تجار بلاد المغرب[1]، فكان يوجد في المرحلة الأخيرة لإمبراطورية سنغاي(1493- 1591م) العديد من المحلات التجارية التي كان يمتلكها ايطاليون، والذين كانوا يتعاملون في بيع الأقمشة وأنواع التجارة الأخرى ذات المنشأ الأوروبي[2].

إضافة إلى أن تمبكتو كانت تستورد القطن والجلود من كانو[3]، كما تستورد الشاي الأخضر الصيني والسكر والشموع ومختلف أنواع البضائع الأخرى ذات الأحجام الصغيرة[4].

3- نظم التعامل:

كان من أهم نظم التعامل السائدة في تمبكتو ما يلي:

3- 1- المقايضة: كانت المقايضة وسيلة التعامل الواسعة الإنتشار بين التجار العرب الوافدين وسكان بلاد السودان الغربي، التي تعتمد على الإتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من سلع[5]،حيث يترك التجار أكواما من الملح والبضائع الخاصة بالتجارة، التي كانت تنقل في قوافل عبر الصحراء، ثم ينسحبون إلى مسافة آمنة تعادل في تلك الأيام مرمى سهم يطلق أو رمح يرمى به، ثم يضع تجار الغابة المظلمة كومات صغيرة من غبار الذهب للمبادلة بها[6].

ويذكر ياقوت الحموي أنهم إذا وصلوا ضربوا طبولا تسمع من الأفق، لا يدعون تاجرا يراهم أبدا، فإذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع، وهو ما يعرف بالتجارة الصامتة[7].

ومن الطبيعي أن التجار يأتون من أجل الذهب، ولكن إذا ما قبضوا على أي سوداني يحاولون معرفة مكان الذهب فيضربونه حتى الموت من أجل ذلك، فلا يعطي سر قبيلته،

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 334.
(2) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 39.
(3) ك. مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 404.
(4) Oskar Lenz, op-cit, p 166.
(5) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 145.
(6) مارغريت ميد، **الشعوب والبلدان**، تر: غادة السمان، مكتبة الأطلس، دمشق، 1959م، ص 134.
(7) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص ص 12، 13.

وفي هذه الحالة يوقف السودانيون عملية التجارة لسنوات أحيانا، ثم يعيدونها فقط عندما يحتاجون للملح[1].

أما في تمبكتو فقد كان الأمر مختلفا قليلا، فذلك النوع من المقايضة كان يتم بحضور الطرفين، أهالي المنطقة الذين يمتلكون الملح والتجار، ومع تغلغل المؤثرات العربية الإسلامية بالمنطقة أدى إلى تلاشي هذا النمط من التعامل التجاري، واستمر العمل بالمبادلة أو المقايضة العينية، أي استبدال سلعة بأخرى[2].

ولم تقتصر المبادلة على مادة الملح فقط، ففي المناطق التي يقل فيها الملح أو ينعدم، يتم التبادل بالمواد المحلية[3].

3- 2- المعاملات النقدية:

أ- الودع: هي عبارة عن فصيلة من أصداف بحار المناطق الحارة، وتسمى أيضا الكوري (Couris)[4].وتختلف قيمتها من وقت إلى آخر، وتجلب هذه العملة من الهند عن طريق التجار المغاربة والمصريين[5]، ومن الأندلس والمغرب الأقصى[6]،ومن بلاد فارس، وكانت الودع تستعمل لشراء الأشياء التافهة، تساوي أربعمائة منها مثقالا واحدا من الذهب[7]،وكانت من العملات الكثيرة التداول في تمبكتو[8].

وقد ذكر كعت أن المثقال من الذهب في تمبكتو كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة في القرن 10هـ/ 16م، كما أفاد أن لكل عشر تمرات خمسة ودعات[9].

ب- النقود الذهبية: كانت عملة تمبكتو ذهبية بلا أي ختم أو كتابة[10]، وكانت على نوعين:

- التبر: الذي كان ينقل في أكياس صغيرة ويقاس على ميزان يحمل معهم.

---

(1) روسيل وورين هاو، المرجع السابق، ص 65.
(2) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 146.
(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 239.
(4) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 150. الهامش*.
(5) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 118.
(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.
(7) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.
(8) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.
(9) Mahmoud Kati, op-cit, p 319.
(10) روسيل وورين هاو، المرجع السابق، ص 77.

- المثقال: وهو تسمية بديلة للدينار الذي كان يستخدم سواء كعملة أو كوحدة وزن للتبر[1]، وكان يستخدم خاصة بتمبكتو، ويصل في بعض الأحيان إلى ثلاثة آلاف ودعة[2]،حيث أن المثقال هو العملة المسكوكة الرسمية، وتتحدد قيمته بالتبر، وفي أيام الوزان كانت قيمة المثقال في تمبكتو 4.238 غرام من الذهب[3].وتستعمل أيضا قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة[4].

جـ- عملات أخرى:

- **المحبوب**: ويستخدم بكثرة في تمبكتو وفي حوض النيجر، بل حتى في بلاد المغرب[5].

- **التوركيدي**: نوع من القماش كان ينسج في كانو، وشاع استعماله كعملة في تمبكتو[6]، فقد استعملت المنسوجات أو الأثواب كنقد لشراء بعض الحاجيات[7].

- **الكولا**: تستعمل كعملة صرف، وتتغير قيمتها دائما كما يحدث للمواد التجارية الأخرى[8].

4- المقاييس والمكاييل والموازين:

4- 1- المقاييس:

أ- **الشبر**: وهو يساوي الامتداد بين الخنصر والإبهام، وقد قدر بحوالي 21 سم تقريبا[9].

ب- الذراع: وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى، ويساوي حوالي 50 سم تقريبا[10].

---

(1) هوبكنز، المرجع السابق، ص 134.
(2) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 118.
(3) مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 406.
(4) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.
(5) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 119.
(6) مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 398. الهامش 48.
(7) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 151.
(8) Oskar Lenz, op-cit, p 162.
(9) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 338.
(10) حسين جاجوا، المرجع السابق، ص 120.

جـ- الميل: وهو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة[1]، وقد قدر بـ 1920 متر[2].

د- **الفرسخ**: لقياس المسافات الطويلة وكان يساوي ثلاثة أميال[3].

هـ- واستعمل **البريد** الذي يعادل سير سرعة الحصان، كما استخدم **الرمح** لقياس طول ماء النهر، فهذه المعايير نقلت من بلاد المغرب واحتفظت بأسمائها، واستعملت في جميع أنحاء بلاد السودان الغربي بكيفية موحدة[4].

4- 2- المكاييل:

أ- المد: ويساوي أربعة ألواح بجمع اليدين، أي ما يعادل 0.75 سل تقريبا[5].

ب- الصاع: وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي ما يعادل ثلاث لترات تقريبا[6].

ج- المودي: وهو يساوي ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد[7].

د- الحزمة: وهي وحدة قياس السمك المجفف[8].

4- 3-الأوزان:

أ- المثقال: يستخدم لوزن المعادن ويساوي وزن اثنتين وسبعين من حبات القمح المتوسط، ويقدر وزن المثقال بحوالي أربع غرامات من الذهب، ويساوي أربعين درهما[9].

ب- الدرهم: وكان يساوي أربعة أعشار الدينار[10].

ج- الأوقية: وتزن الأوقية الواحدة حوالي سبعة وعشرين ونصف غرام[11].

---

(1) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 152.
(2) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 198.
(3) نفس المؤلف، الحضارة العربية...، ص 53.
(4) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 338.
(5) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 199.
(6) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 153.
(7) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية...، ص 54.
(8) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 338.
(9) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق ، ص 337.
(10) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 153.
(11) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 200.

5- الأسواق:

تميزت أسواق تمبكتو بطابعها العربي الإسلامي، حيث كان يغلب على نظام الأسواق في المدن العربية الإسلامية الكبرى تقسيمها إلى أقسام حيث يختص كل قسم بنوعية معينة من البضائع[1].

فكانت تزخر بكثير من الدكاكين للتجار والصناع، وأهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها تجار من بلاد المغرب، وهؤلاء التجار وأصحاب الحرف، كلهم أغنياء، ولاسيما منهم الغرباء الذين يستوطنون البلاد، وتخرج النساء هناك ملثمات، والإيماء يبعن المواد الغذائية[2].

وقد وجد بتمبكتو أواخر القرن 16م سوق جهوية في موضع بشمال المدينة يدعى(فنتكر)، وكانت السوق خاصة بالتجارة الإقليمية التي تجري بين المدينة والمناطق القريبة منها، وقد كانت البضائع تكدس في دكاكين السوق أو توضع على الأرض ويتولى التاجر عملية البيع بنفسه، وقد يتخذ من دكانه مسكنا له[3].

وكانت السوق تقام في أيام معلومة من كل أسبوع ، وذلك تقليدا لأسواق بلاد المغرب[4].

وكان هناك مسؤول عن السوق، وهو أشبه بمأمور الشرطة، وكان مسؤولا عن تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي، بالإضافة إلى ذلك كان هناك مفتشوا الموازين والمكاييل، وجباة الضرائب من الأسواق، ورؤساء مختلف الجماعات الحرفية[5]، وكان مفتش الأوزان أحد طلبة القضاة، يفتش ويراقب الأوزان[6].

---

(1) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 131.
(2) مارمول كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 202.
(3) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 578.
(4) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 132.
(5) سينيكي مودي سيسوكو، المرجع السابق، مج4، ص 211.
(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 56.

وكانت تمبكتو مقسمة إلى أحياء، يسكن كل حي من هذه الأحياء تجار بلد من البلدان التي كانت قوافلها تقصد بلاد السودان الغربي، فهناك حي خاص بتجار غـــدامس وحـــي خاص بتجار توات، وهناك حي يسكنه خليط من التجار الآخرين[1].

وكانت الجاليات الغدامسية بصفة خاصة تتمتع بأهمية كبرى، لما يبديه أفرادها مـــن نشاط وعراقة، وقد شيدوا لهم حيا بالمدينة يعتبر من أغنى وأرقى الأحياء فيها[2].

وقد وجدت متاجر مخصصة للتجار الأجانب، فقد تمكن مـــواطن برتغـــالي يـــدعى بيندیتو دي (Bendetho Dei) من زيارة مدينة تمبكتو في عام 1470م، وأســـس فيهـــا محلا تجاريا كان يبيع فيه الأقمشة المستوردة عن طريق طرابلس من لامبارديا بالـــشمال الايطالي[3].

وقد كانت هناك ضرائب ورسوم فرضت على السلع، فالسلعة الداخلة إلى المدينة من بوابة نهر النيجر، تدفع ضرائب مقدارها 2٪، أما السلع التي يأتي بها التجـــار الأجانـــب فتدفع أي شيء، أما السلع الداخلة من بوابة الصحراء فتدفع 4٪ على كل سلعة من السلع القيمة[4]، كما كان أصحاب المخزن يتبعون الباعة المتجولين بين أزقة الأحياء لتحـــصيل الضرائب المستحقة عليهم[5].

كما وجد في تمبكتو سماسرة يبيعون في السوق أو في المنازل أشياء أودعت عندهم من قبل أناس آخرين كالملح والقماش... وكان لهم النسبة المئوية للسعر المتفق عليه مـــع المالك دون حساب الفوائد التي يجنونها عندما تباع بأثمان باهضة[6].

وهكذا أصبحت تمبكتو سوقا نافقة يؤمها التجار ويفـــد عليهـــا الرحالـــة وتقـــصدها قوافلهم[7].

---

(1) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 102.

(2) عبد السلام أبو سعد، **العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية واثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها**، أعمال ندوة التواصل الثقافي...، ص ص 18، 19.

(3) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 39.

(4) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 56.

(5) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 578.

(6) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 42 .

(7) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 219.

وفي الأخير نستخلص أن:

- هناك العديد من الطرق البرية التجارية التي ربطت تمبكتو بمختلف الأقطار، خاصة بلاد المغرب.

- تمبكتو حظيت بمزايا النقل النهري، وذلك بالاستفادة من نهر النيجر.

- من أهم صادرات تمبكتو الذهب والعبيد، غير أنها لجأت إلى استيراد بعض المواد كالملح وذلك لافتقارها منه.

- نظم التعامل التجاري تعددت في تمبكتو وكان من أبرزها المقايضة والودع.

- تمبكتو استعملت العديد من المقاييس والمكاييل والموازين في تعاملاتها التجارية، التي انتقلت بمصطلحاتها العربية إلى اللغات الأفريقية المحلية.

- كان بتمبكتو سوق يوجد فيه العديد من الأحياء التي تعرف بأسماء الجاليات الآتية إليها كحي الغدامسية، كما كان السوق يغلب عليه الطابع العربي الإسلامي.

الفصل الثاني: الدور الثقافي لمدينة تمبكتو

كان لانتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي دور كبير في ظهور العديد من الحواضر الثقافية من بينها تمبكتو التي كانت مركز إشعاع علمي وثقافي إلى جانب كونها مركز تجاري.

أولا: المقومات الثقافية

لقد ساهمت العديد من العوامل في بروز تمبكتو ثقافيا غير أن المصادر والمراجع المتوفرة لا تشير إليها بصورة واضحة لذا اعتمدنا في دراستنا لها على الاستنتاج والاستنباط، وكان من أهم تلك العوامل التي توصلنا إليها:

1- إستراتيجية الموقع الجغرافي الذي تتمتع به تمبكتو وذلك لقربها من المراكز الحضارية في بلاد المغرب وكونها بوابة لدخول القوافل إلى بلاد السودان الغربي[1]،فسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار فكانوا يفدون على تمبكتو من مصر وغدامس وفاس والسوس وغيرها[2] خاصة بعد ضعف مركز ولاتة التي كانت مقصد العلماء والتجار قبل بزوغ نجم تمبكتو[3]،وهو ما أكسبها أهمية بالغة في المجالين الاقتصادي والحضاري[4].

2- مساهمة التجار العرب المسلمين في نشر الإسلام، فقد كان التاجر المسلم يجمع بين مزاولة التجارة والدعوة إلى الإسلام إلى جانب علمه وتفرغه ليلا لإقامة حلقات الدرس التي ساعدت على نشر الإسلام والثقافة العربية في تمبكتو[5]، وكان للأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة التي تحلى بها التاجر المسلم دورا في سرعة انتشار الإسلام في المنطقة [6]. وقد ساهمت طبقة من التجار الأثرياء في تشجيع العلماء، [7] ونشر الثقافة الإسلامية و اللغة العربية وبناء العديد من المساجد لتعليم

---

(1) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 162.
(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 219.
(3) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 21.
(4) إصلاح محمد البخاري، المرجع السابق، ص 98.
(5) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 172.
(6) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 214.
(7) ك. مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 378.

القرآن الكريم [1]، فكانت بذلك طرق التجارة الصحراوية في نفس الوقت طرق الحضارة والثقافة[2]. كما لعبت تجارة الذهب دورا كبيرا في نمو العلاقات بين تمبكتو ومختلف الأقطار وانتشار الإسلام والحضارة الإسلامية بها[3].

3- دور الحكام في تثبيت دعائم الإسلام بالمنطقة وذلك من خلال:

أ- رحلات الحج: والتي من أشهرها:

* رحلة منسى موسى ملك مالي (1313- 1338م) لأداء فريضة الحج في سنة 724هـ/ 1324م[4]، وقد ضمت الرحلة حاشية ملكية وعامة الناس في حدود عشرة آلاف شخص[5]، واستطاع من خلال هذه الرحلة التعرف على الأحوال التي تعيشها المناطق العربية من ازدهار حضاري[6] فقام بدعوة علماء وفقهاء المدن التي زارها للقدوم إلى تمبكتو لتوعية سكان بلاد السودان الغربي وتعليمهم أصول الدين الإسلامي[7]، وقد اصطحب معه أثناء عودته عبد الرحمان التميمي[8] وعبد الله الكومي الموحدي الغدامسي[9] إضافة إلى عدد من المهندسين[10] من بينهم أبا إسحاق إبراهيم الساحلي[11]

---

(1) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 173.

(2) سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي(المرابطون- صنهاجة- الصحراء- الملثمون في المغرب والسودان والأندلس)** ، ج4، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م، ص 106.

(3) الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 88.

(4) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تح وتع: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1420هـ/ 2000م، ص 141.

(5) يذكر محمود كعت أن الرحلة ضمت ثمانية آلاف شخص. ينظر: Mahmoud Kati, op- cit, p 58.

(6) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 223.

(7) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 99.

(8) جاء من أرض الحجاز مع السلطان منسى موسى (1313- 1338م) وذلك عندما رجع من الحج، فسكن تمبكتو، وأدركها حافلة بالفقهاء السودانيين، وقد فاقوا عليه في الفقه فرحل إلى فاس و تفقه فيها ثم رجع إلى تمبكتو فتوطن بها. ينظر: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص 176.

(9) بحثنا عنه ولم يتسن لنا التعرف عليه.

(10) إصلاح محمد البخاري، المرجع السابق، ص 223.

(11) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المشهور بالطويجن من غرناطة، كان مهندسا وشاعرا. للمزيد ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م، ص 329.

الأندلسي الأصل الذي قام بتجديد البناء في بلاد السودان الغربي[1]، كما قام منسى موسى (1313- 1338م) بشراء عدة كتب ذات صلة بفقه المالكية[2].

* رحلة الأسقيا محمد الكبير (1493- 1528م) لأداء فريضة الحج في سنة 902هـ/ 1495م ومعه موكب عظيم[3]،وقد حرص الأسقيا على أن يأخذ معه إلى الحج عددا كبيرا من العلماء والأعيان ليظهر بذلك أمام العامة في مظهر الملك الصالح القوي[4]،ومن بين من رافقه العالم الفقيه محمود كعت (1468- 1593م)[5].

ويظهر لنا أن الأسقيا محمد (1493- 1528م) إنما كان يهدف من خلال اصطحابه للعلماء إلى إبراز المستوى الثقافي الذي وصل إليه بلاد السودان الغربي.

وقد قام الأسقيا أثناء رحلته بالتصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبا، واشترى جنانا وبيوتا وحبسها على الفقراء والعلماء والمساكين من أهل التكرور[6]، وفي طريق عودته اشترى عددا كبيرا من الكتب، وجلب معه العلماء لخدمة العلم والمعرفة[7] وكان من بينهم جلال الدين السيوطي[8] الذي كان من أهم رجال العلم بمصر[9] حيث اصطحبه معه وأصبح مستشارا رئيسيا له[10].

ب- تشجيع العلماء والفقهاء:

لقد كان معظم حكام بلاد السودان الغربي يحبون العلم ويحرصون على تشجيع واحترام العلماء والفقهاء[11]، فقد شجع الأسيقيون الحركة الثقافية في تمبكتو وبجلوا العلماء

---

(1) دنيس بولم، **الحضارات الأفريقية**، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 50.
(2) المقريزي، المصدر السابق، ص 143.
(3) دنيس بولم، المرجع السابق، ص 51.
(4) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 36.
(5) Mahmoud Kati, op-cit, p 14.
(6) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 71.
(7) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 120.
(8) هو عبد الرحمان بن أبي بكر الأسيوطي، كان بارعا في الحديث وغيره من العلوم وبلغت عدد مصنفاته نحو الستمائة، وكان في درجة المجتهدين في العلم والعمل. ولد في جمادى الآخرة سنة 849هـ وتوفي يوم الخميس 09 جمادى الأولى سنة 901هـ. ينظر: شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1998م، ص 243.
(9) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم**، دار الثقافة، القاهرة، 1996م، ص 118.
(10) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 225.
(11) محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م، ص 112.

وقدروا الأدباء وعملوا على جلب الكتب واقتنائها مهما ارتفعت أثمانها[1]، إضافة إلى أنهم كانوا يقومون بإهداء الكتب إلى من يطلبها من العلماء فقد أمر الأسقيا داود(1549-1582م) بنسخ مجموعة من الكتب والمخطوطات من أجل توزيعها على العلماء والطلبة مجانا[2]. كما قام الأسيقيون بإسقاط الغرامات عن العلماء ومنعوا عنهم ظلم رجال الدولة وكان للأسقيا وحده حق النظر في أية شكوى ضد عالم أو فقيه[3]. وقد أغدقوا عليهم الأموال وشجعوهم على الإقامة ببلادهم لتثقيف الناس وإرشادهم في شؤون دينهم[4]،حيث ذكر الوزان أن الحكام كانوا يدفعون للقضاة والفقهاء والأئمة مرتبا حسنا[5].

3- دور الفقهاء والعلماء والأئمة:

ترتب على تشجيع الحكام الأسيقيين للعلماء والفقهاء أن توافد على بلاد السودان الغربي خاصة تمبكتو عدد من العلماء والفقهاء من مختلف الأقطار الإسلامية من المشرق والمغرب[6] والذين وجدوا في مساجدها ومدارسها غايتهم في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية[7]، حيث كان هؤلاء يدعون الناس إلى الإسلام ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم وتفقيه الناس في أمور دينهم[8]، وكانوا يؤمونهم في الصلاة ويخطبون الجمعة ويكلفون بجمع الزكاة ويقبلون الصدقات ويوزعونها على المحتاجين[9]،وذلك لما لهم من إلمام بأصول الدين والشريعة الإسلامية ومبادئها[10]، كما أنشأ بعض العلماء والفقهاء والمعلمين والدعاة مدارس وكتاتيب في القرى والمدن التي استقروا بها[11].فكان وجود العلماء

---

(1) عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 77.

(2) عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي**، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1421هـ/ 2000م، ص 29.

(3) الموسوعة العربية العالمية، عالم الموسوعة، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

(4) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 118.

(5) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

(6) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 118 .

(7) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 99، 100.

(8) سير توماس.و. ارنولد، **الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)**، تر وتع: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م، ص 392.

(9) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 175.

(10) توماس ارنولد، المرجع السابق، ص 392.

(11) عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430- 515هـ/ 1038-1121م) مع تحقيق رسائل أبي بكر بن العربي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص 168.

بتمبكتو سببا في إثراء الحياة الثقافية في القرن 10هـ/16م وبفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية[1]،وقد كونوا بذلك طبقة خاصة تلي طبقة الملوك[2]، كما حرصوا على توارث العلم في أسرهم[3].

ومجمل القول نستنتج أن أهم العوامل التي أدت إلى ظهور تمبكتو كحاضرة ثقافية هو انتشار الإسلام والثقافة العربية بها، وذلك بفضل الدور الذي لعبه كل من التجار والحكام والعلماء والفقهاء والأئمة.

ثانيا: ملامح الحياة الثقافية

حظيت تمبكتو باهتمام كبير لتنشيط الحركة الثقافية بها، سواء من طرف الحكام أو العلماء أو المحسنين الذين شيدوا العديد من المنشآت الثقافية التي كان لها دورا كبيرا في نشر الثقافة العربية الإسلامية خاصة خلال القرن 10هـ/ 16م منها:

1- المساجد:

شهدت مدينة تمبكتو إقامة وتشييد العديد من المساجد[4] باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء مجتمعها الإسلامي لكونها مركز العبادة والتثقيف والتعليم، فقد لعبت دورا مميزا في نشر مبادئ العقيدة الإسلامية و علوم القرآن والسنة[5]، وكان من أبرز هذه المساجد:

1- 1- الجامع الكبير: (ينظر الملحق 6)

وهو المعروف عند التمبكتيين باسم جنغري بير[6]، أسسه الملك منسى موسى (1313- 1338م) في سنة 726هـ/ 1327م[7] ،وأشرف المهندس أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن على بناءه[8]، وقد دفع له منسى موسى (1313- 1338م) مقابل ذلك

---

(1) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 118.

(2) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق.

(3) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 120.

(4) أحمد الشكري ، **الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230- 1430م)** ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ص 209.

(5) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 184.

(6) عبد الحميد الهرامة، **تمبكتو... نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987م، ص 229.

(7) Oskar Lenz, op- cit, pp 150- 151.

(8) حسن عيسى عبد الظاهر، **الدعوة الإسلامية في غرب افريقية وقيام دولة الفولاني**، ط1، دار الزهراء، القاهرة، 1412هـ/ 1991م، ص 126.

اثني عشر ألف مثقال من الذهب[1]. فقام ببناء قبة مربعة الشكل بالكلس وأضفى عليها الأصباغ، فكانت من أتقن المباني حتى أن السلطان منسى موسى (1313- 1338م) اندهش لذلك لفقدان بلاده لهذا النمط من البناء[2].

وقد استمرت طريقة الساحلي في البناء ببلاد السودان الغربي واعتبرت هندسته من أرقى الأنواع[3]، حيث وصف أوسكار لنز (Oskar Lenz) هذا المسجد بأنه مبنى حصين وممتد، له فناء واسع وبرج ذو شكل مربع كما في بلاد المغرب[4]، وله خمسة أبواب مختلفة الأحجام، ثلاثة من الجهة الشرقية واثنان من الجهة الشمالية، وعلى الجدار الشرقي منه زخارف ملونة باللون الأصفر، وجدرانه مرتفعة على علو 25 قدما(8.25 متر)، وهو أول معلم يتراءى لزائر المدينة[5]، ويقع في الجزء الغربي منها وتقام فيه صلاة الجمعة[6].

ولم يبق من أثر لهذا المسجد لأن القاضي العاقب[7] (1507- 1583م) هدمه وبنى مكانه مسجدا أكثر اتساعا[8]، وقد ساعده الأسقيا داود (1549- 1582م) في إعادة بناءه حيث دفع جزءا من نفقة البناء مع أربعة آلاف قطعة من الخشب وأمر عددا من مواليه بالإسهام في أعمال البناء ونسج حصيره وفرشه[9].

وقد تولى إمامة الجامع الكبير العديد من الأئمة، وسنقتصر على ذكر الأئمة الذين تولوا منصب الإمامة في القرن 10هـ/ 16م وهم:

- **الإمام أبو القاسم التواتي**: هو من أكبر العلماء التواتيين الذين سكنوا تمبكتو، وكان إماما في الجامع الكبير[10]، وقد سكن بجواره من جهة القبلة،وابتنى دارا بالقرب من

---

(1) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 02.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 268.
(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية...، ص 88.
(4) Oskar Lenz, op-cit, p 151.
(5) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 76.
(6) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 24.
(7) وهو العاقب بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي قاضي تمبكتو، ولد عام 913هـ/ 1507م، وتوفي في 991هـ/ 1583م. ينظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 40 وما بعدها.
(8) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 104. الهامش 3.
(9) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 110.
(10) محمد محمود، المرجع السابق، ص 46.

المسجد ليعلم فيها الأطفال[1]، وكان أول من بدأ الاحتفال بالمولد النبوي في تمبكتو ووضع له منهجا[2]، وهو أول من ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة[3]. وكان الأسقيا الحاج محمد(1493- 1528م) يصلي وراءه ويطلب دعاءه، كما أنشأ مقبرة تمبكتو الكبرى التي حبس عليها الأسقيا صندوقا يحتوي على ستين جزءا من القرآن، وتوفي بتمبكتو في 923هـ/ 1516م[4].

- **الإمام منصور الفزاني**: وهو تلميذ أبو القاسم التواتي، خلفه في منصب الإمامة بعد وفاته[5]، وهو من علماء بلاد المغرب[6].

- **الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي**:تولى منصب الإمامة بعد منصور الفزاني، وكان عالم تجويد[7]، و قد جاء إلى تمبكتو مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلالت[8].

- **الإمام علي الجزولي**: ولاه القاضي محمود[9] الإمامة، وكان من عباد الله الصالحين، توفي بعد أن مكث في الإمامة 18 عاما[10].

- **الإمام صديق بن محمد تعلي**: ولاه القاضي محمود بن عمر الإمامة بعدما توفي الإمام سيدي علي الجزولي، ومكث في الإمامة نحو 24 عاما[11].

- **الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي**: هو ابن القاضي العاقب محمد بن عمر، خلف الإمام صديق في منصب إمامة الجامع الكبير بعدما حلف له والده أنه إن لم يقبلها ليسجنه، توفي في عام 977هـ/ 1569م[12].

---

(1) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 58.
(2) محمد محمود، المرجع السابق، ص 46.
(3) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 58.
(4) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 516.
(5) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 58.
(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 77.
(7) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 58.
(8) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 77.
(9) وهو محمود بن عمر أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي التمبكتي، للمزيد ينظر: أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ص 607.
(10) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 189.
(11) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 60.
(12) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 190.

- **الإمام محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلاني**: تولى إمامة الجامع الكبير بعد وفاة الإمـــام عثمان بن الحسن التشيتي بأمر من القاضي العاقب، مكث في الإمامة 11 عاما وتوفي في 29 محرم 989هـــ/ 1581م[1].

- **الإمام أحمد بن الإمام صديق**: تولى الإمامة بأمر من القاضي العاقب، مكث فيهـــا 15 عاما وتسعة أشهر وثمانية أيام، وهو آخر أئمة الجامع الكبير في زمـــن مملكـــة ســـنغاي (1493- 1591م)، والتي تولى في عهدها منصب الإمامة مدة عشر سنين[2].

1- 2- مسجد سنكري: (انظر الملحق 7)

بني من طرف امرأة ذات مال كثير في أفعال البر[3]، وعرف باسم سنكري نـــسبة إلى الحي الذي بني فيه[4]، ويقع في الشمال الشرقي للمدينة[5]. غير أنه اختلف في تاريخ بناءه، فهناك من يقول أن المسجد بني في النصف الأول من القرن 9هـــــ/ 15م[6]، فـــي حين هناك من يرى أن المسجد بني بعد 1325م، لكن تاريخ بناءه يبقى مجهولا. وقد أعيد بناءه من طرف القاضي العاقب بن القاضي محمود في عام 989هـــــ/ 1581م[7]، أمـــا السعدي فيرى أن تاريخ تجديد بناء المسجد كان عام 986هـــ/ 1578م[8].

ولهذا المسجد بابين من الجهة الجنوبية وباب واحد من الجهة الـــشمالية[9]، ويقـــدر طوله بـــ 120 قدما (39.6 متر)، وعرضه 80 قدما (26.4 متر)[10]. وبالقرب منه كانت تصطف حوانيت الوراقين الذين يستنسخون الكتب للطلبة، وكان من المناظر المألوفة رؤية فقيه يملي على الكتبة فصولا من كتاب أو حاشية، ولا ينتهي من إملائه إلا وقد حـــصلت

---

(1) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 78.
(2) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 62.
(3) نفسه.
(4) Oskar Lenz, op-cit, p157.
(5) جاك ووديس، **جذور الثورة الأفريقية**، تر وتع: أحمد فؤاد بلبع، راجع الترجمة: عبد المالك عودة، الهيئة المـــصرية العامة، 1971م، ص 563.
(6) سينيكي مودي سيسوكو، المرجع السابق، مج4، ص 219.
(7) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 79.
(8) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 111.
(9) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 79.
(10) Oskar Lenz, op-cit, p151.

للوراق عدة نسخ من ذلك الكتاب[1]، فأضحى المسجد بذلك جامعة إسلامية راقية على نمط الجامع الأزهر في مصر، وذاع صيته بما بلغته من مستوى علمي رفيع لتجعل تمبكتو عاصمة من عواصم الدين والعلم والأدب في بلاد السودان الغربي[2].

وقد تعاقب على إمامة مسجد سنكري العديد من الأئمة نذكر منهم:

- **الإمام أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي**: ولاه القاضي محمود الإمامة في رمضان بعد وفاة أبيه، وكان عالما متواضعا، مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدرسا لكتاب الشفاء للقاضي عياض[3].

- **الإمام الفقيه أبو بكر بن أحمد بير**: تولى الإمامة كرها فصلى بالناس الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم خرج من البلد هاربا[4].

- **الإمام عبد الرحمان بن الفقيه محمود**: وهو أخ الفقيه أبي بكر بن أحمد بير، قدمته الجماعة لتولي منصب الإمامة بعد فرار أخيه[5].

- **الإمام محمد بن محمد كري**: تولى منصب الإمامة بعد الإمام عبد الرحمان بن الفقيه محمود وبقي فيها إلى أن توفي[6].

- **الإمام محمد بن سيد أحمد**: ولاه منصب الإمامة والده القاضي سيد أحمد، وبقي فيها إلى أن توفي[7].

- **الإمام الفقيه سنتاعو بن الهادي الودائي**: تولى الإمامة بعد الإمام محمد بن سيد أحمد[8]وذلك بعد عام 1004هـ/ 1596م[9].

- **الإمام أحمد بن محمد عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التمبكتي**: من أهل سنكري، كان عالما فقيها متقنا للتفسير، نحويا لغويا متفننا في علوم الآداب والأشعار[10].

---

(1) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 521.
(2) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص ص 184، 185.
(3) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 107.
(4) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 63.
(5) نفسه.
(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 80.
(7) نفسه.
(8) عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 63.
(9) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 80.
(10) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 39.

1- 3- مسجد سيدي يحي التادلسي: (انظر الملحق: 8)

كان في بداية الأمر عبارة عن بيت صغير اتخذه يحي التادلسي للتـــدريس[1]، ثـــم خرب بعد ذلك ولم يبق إلا موضعه فقام الشيخ محمد نض ببناء مسجد مكانه، وجعل يحي التادلسي إماما عليه إلى أن وافته المنية في 888هـــ/ 1483م[2].

وكان أهل تمبكتو يعتقدون فيه، فلما توفي سمي المسجد باسمه أي (مسجد سيدي يحي التادلسي)، وقد تحول سريعا إلى جامع لتكاثر السكان في الحي الموجود بـــه و لازدهـــار التدريس في المدينة ككل[3]، وقد قام القاضي العاقب بن القاضي محمود بتوســيعه عـــام 976هـــ/ 1568م[4].

ويقع المسجد في وسط المدينة[5]، وهو أصغر بكثير من المسجدين السابقين، وجدرانه أقل ارتفاعا[6].

وقد تولى منصب الإمامة بهذا المسجد العديد من الأئمة نذكر منهم:

- **الإمام محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التمبكتي**: وهو المعروف ببغيغ، ولد عام 930هـــ/ 1525م في جني ثم انتقل مع أسرته إلى تمبكتو[7]، أين درس المختصر ثم رحل إلى المشرق وحضر مجالس العلم بمصر، وبعد الحج رجع إلى تمبكتو لمتابعة تخصـــصه في الفقه والحديث والبيان والمنطق، وكان إلى جانب ذلك مؤلفا ومفتيـــا[8]،تـــولى إمامـــة مسجد سيدي يحي إلى أن توفي سنة 1002هـــ/ 1597م[9].

- **الإمام بن محمد الونكري**: كان إماما في مسجد سيدي يحي وفقيها ذا دين، توفي عـــام 1040هـــ/ 1630م[10].

---

(1) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية...، ص 16. التهميش 32.
(2) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 81.
(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربي...، ص 65. الهامش 27.
(4) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 81.
(5) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p04.
(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 80.
(7) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 170.
(8) محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 523، 524.
(9) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 172.
(10) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 81.

لم تكن تمبكتو تضم هذه المساجد الثلاث فقط بل ضمت مساجد أخرى لم تصل إلى شهرة ومكانة هذه المساجد في التاريخ الحضاري الإسلامي ببلاد السودان الغربي[1]، ومع مرور الوقت أصبحت المساجد الثلاث (الجامع الكبير وسنكري وسيدي يحي) بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية تربوية، وتخرج منها القضاة والعلماء والأدباء[2]، وكان من أشهرها وأكثرها اكتظاظا بالطلبة والمدرسين خلال القرن 10هـ/ 16م جامعة سنكري[3].

وهكذا أصبحت تمبكتو ذات مكانة علمية وثقافية لا تقل أهمية عن مكانة القيروان بتونس، وفاس بالمغرب، وتلمسان بالجزائر، والقاهرة بمصر[4].

2- المدارس:

لقد كان بتمبكتو خلال القرن 10هـ/ 16م حوالي 180 مدرسة قرآنية[5] لتحفيظ القرآن الكريم وتفسير معانيه وتعليم اللغة العربية، وكان يدرس فيها أكثر من 30 ألف طالب كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف المناطق[6]، وكانت هذه المدارس ملحقة بالمساجد[7]، وكان كل عالم يستطيع حسب تأثيره وسمعته أن يفتح مدرسة لتعليم القراءة والكتابة باللغة العربية[8].

2-1- مراحل التعليم: كان التعليم بتمبكتو يمر بثلاث مراحل هي:

أ- مرحلة التعليم الابتدائي:

وهي المرحلة الأولى بالنسبة للتلميذ، ويشترط فيها السن المتراوح بين السادسة والعاشرة أو ما يعرف بمرحلة الصبا[9]، وكان الأطفال غالبا ما يدخلون الكتاب في سن الخامسة، وكانت هذه المرحلة ضرورية لكل تلميذ لأنه بدونها لا يتأهل لمزاولة الدراسة

---

(1) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق.
(2) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 83.
(3) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية...، ص 15.
(4) حسين جاجوا، **حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر**، أطروحة ماجستير، (غير منشورة)، الجزائر، 1414هـ/ 1994م ، ص 43.
(5) سينيكي مودي سيسوكو، المرجع السابق، مج4، ص 220.
(6) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 101.
(7) نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في أفريقيا الغربية**، ط2، الشركة الوطنية، الجزائر، ص 157.
(8) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 44.
(9) حسين جاجوا،حركة الحاج عمر الفوتي...، ص 113.

في باقي المراحل[1]، وفي هذه المرحلة كان الآباء هم الذين يقودون أبناءهم إلى معلمي الصبيان ويجبرونهم على الدوام، كما يراقبون مدى استيعابهم[2].

ويتولى التدريس في هذه المرحلة معلمو الكتاتيب الذين يشترط فيهم الكفاءة اللازمة لمهنتهم كحفظ القرآن الكريم والإلمام بمبادئ اللغة والفرائض وإتقان الخط، وكانت الكتاتيب منتشرة بكثرة في تمبكتو[3]، وفيها يتعلم التلميذ الحروف الهجائية ليسهل عليه قراءة القرآن الكريم وكتابته في اللوح، وكان التلاميذ يكتبون ما تيسر من آيات القرآن الكريم في الألواح ولا يجوز لهم محوها إلا بعد حفظها وعرضها على الشيخ الذي يأذن للتلميذ بمحوها وكتابة آيات أخرى بطريقة تسلسلية[4]،إضافة إلى أنهم كانوا يتعلمون مبادئ العبادات والتوحيد وقواعد اللغة العربية[5]، ثم يدرس التلميذ الأحاديث المختارة ابتداء بقراءة الأربعين حديث النبوي، ثم البردة وغيرها من الكتب العربية[6].

وكانت الكتاتيب تفتح من الفجر إلى غاية الساعة الثالثة بعد الزوال، وفي المساء إلى حوالي الساعة التاسعة، وكان التلاميذ يتوجهون إليها باستمرار وبالتناوب وفي ساعات مختلفة من اليوم[7].

أما عن طريقة التدريس فقد كان الأطفال يلتفون حول المعلم وينصتون إليه ليعلمهم القرآن واللغة العربية، وقد يصل عدد الصبيان في المدرسة إلى 123 صبيا[8]. ولعل كثرة التلاميذ وازدحامهم وعدم وجود أعداد كبيرة من المعلمين دعت التلاميذ الكبار المتقدمين في حفظ القرآن بأن يقوموا بمساعدة المعلم في تعليم التلاميذ المستجدين[9].

وعندما يختم التلميذ القرآن الكريم تقام له وليمة يحضرها زملاؤه من التلاميذ ليشاركوه الفرحة، وعادة ما يمتحن التلميذ عند الختم بواسطة عرض السور التي يطالبه

---

(1) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص ص 142، 143.
(2) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 85.
(3) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص ص 142، 143.
(4) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 199.
(5) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 199.
(6) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 201.
(7) Mgr.A.Hacquard, op-cit, p 44.
(8) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 86.
(9) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 199.

بها معلمه أو لجنة تتكون من مجموعة من المعلمين والطلبة المتفوقين[1]، وكان التلاميذ يبذلون جهدهم في حفظ القرآن، ومن كان ينجح في بلوغ ذلك كان يسمى حافظا[2].

ب- مرحلة التعليم الثانوي والعالي:

لم يكن يشترط للالتحاق بهاتين المرحلتين سن محدد، وذلك لأن التعليم فيهما كان حرا بالنسبة لانخراط الطلبة[3]،وعادة ما تكون في المساجد، ففي تمبكتو كان التعليم في جامع جنغري بير من النوع الثانوي، حيث تدرس فيه المواد الأكثر وضوحا وبساطة مثل النحو والفرائض والبلاغة[4]، والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية والمنطق والحساب ومن ثم يتدرج الطالب من الدراسات البسيطة إلى دراسة الكتب والمؤلفات الأكثر تعقيدا من حيث التفاصيل في المسائل والشروح وغيرها[5] كعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي والتاريخ والسيرة وعلوم العربية[6].

وبالنسبة للتعليم العالي في مدينة تمبكتو فقد كان يتم في جامع سنكري، حيث تدرس فيه المواد بشكل اختصاصات ويتم تناولها بتفصيلات واسعة، وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون[7]، وقد بلغ عدد الطلبة في جامع سنكري حوالي عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف طالب من مختلف الجهات[8].

وقد اشتهر جامع سنكري بتدريس الفقه المالكي الذي كان يقوم بتعليمه علماء متضلعون في مادته، سواء كانوا من بلاد السودان الغربي أو الأجانب الزائرين من أساتذة القاهرة وفاس والقيروان الذين كانوا يقومون بإلقاء الدروس على الطلاب[9].

وكان لا يجلس للتعليم إلا أساتذة متضلعون وملمون بكل جزئيات المواضيع التي يدرسونها، ومما يدل على تضلعهم أن أمهات الكتب التي كانت تدرس في بلاد المغرب

---

(1) حسين جاجوا، حركة عمر الفوتي...، ص 114.
(2) جاك.س. ريسلر، **الحضارة العربية**، تر: غنيم عبدون، مر: أحمد فؤاد الاهواني، الدار المصرية، ص 81.
(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية...، ص 64.
(4) نفس المؤلف، مملكة سنغاي...، ص 144.
(5) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 200.
(6) أمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 200.
(7) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 144.
(8) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 83.
(9) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 202.

والمشرق هي نفسها التي تدرس في بلاد السودان الغربي في تلك الفترة[1]. ويبدو أن الأساتذة كانوا يقسمون أوقاتهم خلال النهار، فيدرسون مثلا طلاب الثانوي في الصباح، ثم يجلسون بعد الظهر لطلاب المرحلة العليا، ومن الشيوخ من يجلس للتدريس من الصباح إلى الظهر ثم ينصرف إلى عمل آخر يكسب منه معيشته، ومنهم من يستمر في التدريس حتى الغروب ولا يقوم إلا للصلاة والغذاء[2].

ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت أو فصل معين، بل كانت تعتمد على مدى استيعاب الطالب للكتب المقررة[3].

أما عن طريقة التدريس في هذه المرحلة فكانت تتم بإملاء الأستاذ رأيه في المسائل على طلبته وبعدها يقرأ الطلاب درسهم في الكتاب المقرر بحضور الأستاذ، ثم يطلب كل منهم توضيح الأمور الغير المفهومة، وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الأستاذ كجواب على استفساراتهم، وكان الأساتذة يختارون العبارات البسيطة في الشرح، ولا يخلو ذلك من المناقشة بين الطلاب والأساتذة[4].

أما أشهر الكتب التي كانت تدرس فهي نفسها الكتب المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى المعاصرة لها ومنها: الشفاء في حقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي[5]، وكتاب المدونة لابن القاسم سحنون، وصحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك وألفية ابن مالك، أما في تفسير القرآن فكانوا يعتمدون مثلا على تفسير الجلالين وتفسير الطبري والقرطبي، وفي علم التاريخ كانوا يدرسون كتب الطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم[6].

---

(1) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 144.
(2) حسين جاجوا، حركة عمر الفوتي...، ص 118.
(3) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 166.
(4) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية...، ص ص 66، 67.
(5) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق.
(6) للمزيد ينظر: إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص ص 201، 202.

2- 2- الإجازات:

كان الأساتذة لا يجيزون طلبتهم إلا بعد التأكد من تمكنهم في المواد التي درسوها لهم، وكانت الإجازات تمنح بشكل فردي، ولا يستطيع الطالب الحصول على إجازته إلا في المواد التي أتقنها ودرسها ولكنه يبقى طالبا في المواد الأخرى[1].

أما طريقة الإجازة فقد كانت بسيطة وهي عبارة عن انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر[2]، فقد كانت هناك إجازات تختص بالقرآن الكريم والحديث، أي أنها خاصة بالثقافة الإسلامية، وهناك إجازات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات بجانب العلوم الدينية[3]، وقد تكون الإجازة أحيانا شفاهية بحضور العلماء، وذلك بأن يقول الأستاذ بأن هذا الطالب ذو علم[4]،وكانت تلك الإجازات تعطى عادة في حفل كبير، وأحيانا تسلم لهم عمائم[5] دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء، وهذه الإجازة العلمية التي يتحصل عليها الطالب تؤهله لأن يعمل بإلقاء الخطب أو الإمامة أو أن يعمل كمساعد للقاضي أو نائبا له أو كاتبا، أو أن يعمل في نسخ الكتب أو تعليم القراءة[6].

3- المكتبات:

يظهر لنا مما سبق أن الكتب والمخطوطات كانت من أهم واردات تمبكتو، وذلك لاهتمام الحكام والعلماء والطلبة بشرائها وإعادة نسخها،وهذا ما ساهم في ظهور العديد من المكتبات في المدينة.

وقد أقبل الناس في شغف على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية[7]، وتضم نفائس الكتب، وكان من بين العلماء الذين كانت لهم مكتبات خاصة محمد بن

---

(1) حسين جاجوا، حركة عمر الفوتي...، ص 124.

(2) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية...، ص ص 17، 18.

(3) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 88.

(4) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 203.

(5) كانت هذه العمائم ذات دلالة أكاديمية، فإذا وضعت على الرأس في شكل حرف الألف فهذا يعني أن الطالب حاز إجازة في النحو، وإذا أدارها على شكل حرف اللام تعني إجازة في الجغرافيا، وعندما يتكرر حرف اللام يعني إجازة في الرياضيات، والاستدارة الأخيرة على شكل حرف الهاء تعني إجازة أخرى. وكل هذه الحروف مجتمعة تشكل لفظ الجلالة (الله)، وهذه الرمزية نجدها فقط في جامعة سنكري. ينظر: الجزيرة الوثائقية، تحت المجهر. والملحق 9.

(6) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 88.

(7) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 166.

محمود بن أبي بكر الونكري المعروف ببغيغ (1524- 1593م) الذي كان يملك فيها نفائس الكتب[1]، وأحمد بابا التمبكتي (1556- 1627م) الذي كانت مكتبته تضم حوالي ألفين ومائتي مجلد، بالرغم من أنها كانت تعتبر من أصغر المكتبات بتمبكتو[2].

كما وجدت مكتبات خاصة بالعائلات مثل مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق والتي تحوي حوالي أربعة آلاف مخطوطة[3]، والتي أنشأت في القرن 10هـ/ 16م وكانت تنتقل في البوادي والقرى إلى أن وصلت أخيرا إلى مدينة تمبكتو وثبتت فيها، إضافة إلى مكتبة الكوتي الأندلسية والتي يعود تاريخها إلى عام 1468م[4].

وكان الأثرياء والمقتدرون يقومون بشراء كميات كبيرة من الكتب الدينية والفقهية ويحتفظون بها ويتوارثونها، وكانت بعض تلك الكتب قد نسخت باليد مما يشير إلى اهتمام أهل المنطقة بالعلم وتحصيله[5].

ونتيجة لازدهار الحياة العلمية كثرت المكتبات العامة[6] والتي كانت مفتوحة لاطلاع الطلاب والراغبين في العلم، وكان أصحابها لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة[7].وقد كان هناك متطوعون خاصون يقومون بنسخ الكتب وهم عادة من طلبة جامعة سنكري، حيث يقومون بإعادة نسخ ما يحصلون عليه من الكتب بالخط والحرف العربي ثم يبيعون تلك النسخ لمن يريدها وتبقى لديهم النسخة الأصلية[8]،إضافة إلى أن الأسقيا داود (1549- 1582م) أنشا مكتبة عامة للمطالعة وعين أشخاصا يقومون بنسخ المخطوطات والكتب المطبوعة ليقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا[9].

---

(1) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 216.

(2) ك. مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 511.

(3) Seyni Moumouni, **Scribes et Manuscrits à Tombouctou(la chaine du Manuscrits)**, Asian and African studies, 16, 2007, 1, p 64.

(4) الجزيرة الوثائقية، تحت المجهر.

(5) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

(6) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 166.

(7) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج6، القاهرة، 1998م، ص 235.

(8) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 94.

(9) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 29.

كما كان بتمبكتو مكتبة ضخمة يلتقي فيها العلماء أثناء إقامتهم أو عبورهم من مختلف مناطق بلاد السودان الغربي باتجاه الحج[1]،وقد وجدت أيضا مكتبات في المساجد لمرافقة التعليم[2].

وهكذا أصبحت مكتبات تمبكتو تتوفر على العديد من الكتب التي أسهمت في ازدهار الحياة الثقافية والدينية بها[3].

4- العلماء والقضاة:

كان لازدهار تمبكتو ثقافيا خلال القرن 10هـ/ 16م دور في ظهور العديد من العلماء والقضاة الذين كان لهم تأثير كبير في الحياة الفكرية والاجتماعية وسنقتصر على ذكر العلماء والقضاة الذين برزوا خلال القرن 10هـ/ 16م، ومن أبرزهم:

- **أبو العباس أحمد بن محمد أقيت**: وهو الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحي الصنهاجي التمبكتي، جد أحمد بابا التمبكتي[4]، كان فقيها من أهل العلم والدين، محافظا على السنة والتحري، وقاضيا في تمبكتو وعلى أهل ولاتة، كتب عدة كتب بخطه وترك نحو 700 مجلد[5]،سافر لأداء فريضة الحج عام 890هـ/ 1485م والتقى بجلال الدين السيوطي وغيره من العلماء، ثم رجع إلى بلاده وجلس للتعليم[6]،توفي عام 942هـ/ 1536م[7].

- **محمود بن عمر اقيت**: وهو محمود بن عمر أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي التمبكتي، وكان يسمى بأبي الثناء و أبو المحاسن عالم التكرور، ولد عام 868هـ/ 1463م كان فقيها وإماما، تولى القضاء بتمبكتو عام 904هـ/ 1498م وكان عادلا وملازما للتدريس[8]، وقد تخرج على يديه نخبة من

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 102.

(2) Seyni Moumouni, op-cit, p 63.

(3) إصلاح محمد البخاري، المرجع السابق، ص 217.

(4) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 27.

(5) احمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص ص 137، 138.

(6) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 27.

(7) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 168.

(8) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 607.

الطلاب والشيوخ[1]، حج في عام 915هـ/ 1509م وناقش علماء مصر وعاد إلى بلاده ليزاول التدريس[2]، توفي عام 955هـ/ 1548م عن عمر يناهز 87 سنة[3].

- **محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت**: وهو أبو عبد الله محمد بن محمود بن عمر بن أقيت الصنهاجي، ولد عام 909هـ/ 1503م، تولى القضاء بعد أبيه محمود بن عمر أقيت، وتوفي عام 973هـ/ 1565م[4].

- **أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت**: ولد عام 932هـ/ 1526م بتمبكتو، وهو عم أحمد بابا التمبكتي(1556- 1627م)[5] ، عرف بالصلاح والورع[6]، درس أحمد بابا التمبكتي علم النحو، وحج وسكن المدينة إلى أن توفي بها عام 991هـ/ 1583م[7].

- **أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت**: ولد عام 929هـ/ 1523م، وهو والد أحمد بابا التمبكتي، رحل إلى المشرق عام 956هـ/ 1549م، والتقى بالعديد من العلماء وأخذ عنهم[8]، كان فصيحا وبارعا في الأدب، توفي ليلة الاثنين 27 شعبان عام 991هـ/ 1583م[9].

- **العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت**: ولد عام 913هـ/ 1507م[10]، أخذ العلم عن أبيه وعمه، وتلقى العلم في مصر أيضا، قام بالتدريس وتولى القضاء بتمبكتو وتوفي عام 991هـ/ 1583م[11].

---

(1) بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية(أدوارها، مواطنها، أعيانها)** ، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 106.

(2) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 516.

(3) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/ 1995م، ص 305.

(4) محمد بن محمد مخلوف ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ ، ص 298.

(5) نفسه.

(6) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 207.

(7) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 96.

(8) محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 286.

(9) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص ص 29، 30.

(10) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 354.

(11) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 518.

- **عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت**: أخذ العلم عن أبيه، وعرض عليه تولي منصب القضاء بتمبكتو عام 993هـ/ 1585م غير أنه أبى ذلك فأصر عليه الأسقيا محمد الثالث (1582- 1586م) أن يقبلها، توفي عام 1003هـ/ 1595م[1].

- **محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التمبكتي**: سبق ذكره ضمن أئمة مسجد سيدي يحي التادلسي.

- **محمود كعت**: ولد عام 872هـ/ 1468م[2]، كان عالما فقيها وقاضيا عادلا، سكن بتمبكتو وعاصر الأسقيا الحاج محمد (1493- 1528م)[3] ، حفظ القرآن الكريم على يد أبيه كما أخذ عنه مبادئ اللغة والفقه والحديث والتفسير والتاريخ، إضافة إلى جملة من سير الفقهاء والعلماء، سافر إلى مصر وحضر حلقات العلم بالأزهر[4]،ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام 902هـ[5] وبعدها عاد إلى تمبكتو لتدريس الفقه والحديث والمنطق والتاريخ، وقد تخرج على يديه العديد من العلماء من بينهم أحمد بابا التمبكتي (1556- 1627م)[6].

ألف كتابه في تاريخ دولة السنغاي وسماه الفتاش وعنوانه بالكامل:(تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار)[7] ، وقد بدأ تأليف كتابه عام 1519م غير أنه توفي قبل إكماله[8] في عام 1002هـ/ 1593م، فقام أحد أحفاده باستكمال التأليف لمدة ست سنوات التالية لوفاته إلى غاية 1008هـ/ 1599م[9].

---

(1) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 178.
(2) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...،ص 160.
(3) Mahmoud Kati, op-cit, pp 10, 11.
(4) عبد القادر زبادية، **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص 122.
(5) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص ص 209، 210.
(6) عبد الرحمان عمر الماحي، **الدعوة الإسلامية في أفريقيا(الواقع والمستقبل)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 113.
(7) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 210.
(8) عثمان برايما باري، المرجع السابق،ص 28.
(9) عبد الحميد الجنيدي، المرجع السابق، ص 97.

- **أحمد بابا التمبكتي**: هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت الصنهاجي التمبكتي، ولد ونشأ بتمبكتو عام 963هـ/ 1556م[1] في عائلة عرفت بالعلم والثقافة هي عائلة أقيت التي يعود أصلها إلى ولاتة، أخذ دروسه الأولى عن أبيه وعمه ثم انتقل إلى الأخذ عن علماء تمبكتو إلى أن بلغ عمره الثلاثين سنة، ثم جلس هو للتدريس والتأليف بعد ذلك[2]، وقد شوهد في مصر يقرأ علم التوقيت وينسخ فهرسة السيوطي مما يدل على اجتهاده[3]. كان من فقهاء المالكية الكبار، وله عدة تآليف منها شرحه على المختصر ونيل الابتهاج بتطريز الديباج[4]، وأثناء الغزو المراكشي على مدينة تمبكتو عام 1000هـ/ 1591م قبض عليه واقتيد إلى مراكش سنة 1002هـ/ 1593م[5] أين جلس للتعليم في جامعها[6]، وقام بإنهاء كتابه(نيل الابتهاج بتطريز الديباج) المصنف من ثمانمائة وثلاثين سيرة من سير العلماء المالكيين، واعتبر تكملة لعمل ابن فرحون (ت 799هـ/ 1397م)، وبعد سبع سنوات قام باختصار كتابه هذا إلى 662 سيرة تحت عنوان(كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من الديباج)[7].

ولما توفي المنصور الذهبي(1577- 1602م) أطلق ابنه وخليفته سراح أحمد بابا التمبكتي وسمح له بالعودة إلى تمبكتو، فعاد إليها واستأنف نشاطه في نشر العلم والإفتاء إلى غاية وفاته بتمبكتو عام 1036هـ/ 1627م[8].

- **عبد الرحمان السعدي**: هو عبد الرحمان السعدي بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي التمبكتي، ولد ليلة الأربعاء عام 1004هـ/ 1596م[9]،وقد حفظ القرآن الكريم

---

(1) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 11.

(2) عبد القادر زبادية، دراسة عن أفريقيا...، ص 126.

(3) محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تح: إحسان عباس، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 144.

(4) عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 527.

(5) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، ج1، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص 102.

(6) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 14.

(7) أود قوي، **طرق تأثير الفكر العربي الإسلامي في غرب أفريقيا حتى حوالي 1150هـ/ 1737م**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد التاسع، طرابلس، 1992م، ص 616.

(8) عبد القادر زبادية، دراسة عن أفريقيا...، ص 129.

(9) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 176.

في صغره وتتلمذ على يد عدد من الأشياخ العلماء وعلى رأسهم أحمد بابا التمبكتي، ثم جلس بعد إتمام تعليمه للتدريس والوعظ والإرشاد[1]، ثم تولى إمامة مسجد سنكري عام 1036هـ/ 1627م[2].

ألف السعدي كتابا سماه(تاريخ السودان) تحدث فيه عن الممالك الإسلامية في بلاد السودان الغربي ونشأة المدن الإسلامية وأخبارها، وذكر الدعاة والقضاة الذين سكنوا تلك المدن والسلاطين والأمراء وأئمة المساجد مع نبذة عن حياتهم، وقد فرغ من كتابته في 05 ذي الحجة عام 1063هـ/ 08 نوفمبر 1652م[3]،وكانت وفاته عام 1066هـ/ 1656م[4].

وفي الأخير يمكننا الوقوف على جملة استنتاجات منها:

- أن تمبكتو انتشرت بها العديد من المساجد والمدارس التي لعبت دورا في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

- أن التعليم بتمبكتو كان يمر بمرحلتين، بداية بالمرحلة الابتدائية ثم مرحلة التعليم الثانوي والعالي.

- أن التعليم العالي كان يتم في جامعة سنكري والتي أصبحت تضاهي جامع الأزهر وفاس والقرويين في تلك الفترة.

- أن الإجازات بتمبكتو كانت تمنح إلا في المواد التي أتقنها المتعلم، وكان يبقى طالبا في المواد الأخرى.

- توفرت تمبكتو على عدد من المكتبات الخاصة والعامة التي كان بها العديد من المخطوطات والكتب النفيسة.

- هناك العديد من العلماء والقضاة بتمبكتو كان أشهرهم ينحدر من أسرة آل اقيت التي توارثت العلم ومنصب القضاء.

---

(1) عبد القادر زبادية، دراسة عن أفريقيا...، ص 114.
(2) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 176.
(3) عبد الرحمان عمر الماحي، المرجع السابق، ص 115.
(4) محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 309.

ثالثا: العلاقات الثقافية

لقد ساهم حكام مملكة سنغاي الإسلامية(1493- 1591م) بشكل كبير في توطيد العلاقات الثقافية مع باقي الأقطار الإسلامية وذلك من خلال رحلات الحج والبعثات العلمية التي كان لها دور في تنشيط الحركة الفكرية ببلاد السودان الغربي خاصة تمبكتو التي كانت لها علاقات ثقافية مع بلاد المغرب والمشرق.

1- مع بلاد المغرب:

كان لتمبكتو علاقات ثقافية واسعة النطاق مع مدن بلاد المغرب وهي علاقات كان أول من وضع أركانها ودعمها الملك منسى موسى(1313- 1338م) أحد أشهر ملوك إمبراطورية مالي(1225- 1430م) والذي اشتهر عهده بحب العلم والعلماء[1]،فقد أخذ يرسل كثيرا من طلاب العلم إلى مدينة فاس المغربية لتحصيل العلوم العربية والإسلامية[2]، كان من بينهم كاتب موسى[3]الذي رحل إلى فاس للتعلم بأمر من السلطان منسى موسى(1313- 1338م)[4].

وقد امتاز الملوك المتعاقبون بعده بهذه الممارسة، فقد قام وفد من مالي بزيارة المغرب الأقصى عام 1341م في عصر السلطان أبي الحسن المريني[5] (1330- 1351م) بهدف تقوية العلاقات بين مالي والمغرب الأقصى، وعندما انتهت زيارة الوفد رافقهم عدد من الصناع المهرة والفقهاء إلى مالي للمساهمة في النهضة العمرانية والحضارية بها[6].

وقد توطدت العلاقات الثقافية بين تمبكتو و بلاد المغرب بشكل أكبر في عهد الأسيقيين، حيث أصبحت قبلة للوعاظ والعلماء والدعاة الذين وجدوا في رحاب مساجدها

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 99.

(2) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 23.

(3) كان عالما من علماء تمبكتو وهو أول إمام عين في المسجد الجامع(جنغري بير) في عهد إمبراطورية مالي (1225- 1430م). ينظر: محمد محمود، المرجع السابق، ص 46.

(4) نفسه.

(5) هو من حكام الدولة المرينية ولد عام 1258م ، حكم مدة عشرين سنة وأربعة أشهر، توفي بمراكش في آخر شهر ربيع الأول عام 752هـ/ 1420م. ينظر: محمد لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تص: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1940م، ص 138.

(6) أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، ص 167.

ومدارسها القرآنية غايتهم في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية[1]،فكان هناك علماء من المغرب يأتون للجلوس مع نظائرهم من علماء بلاد السودان الغربي في الجوامع ومؤسسات التدريس[2]، ومن علماء بلاد المغرب الذين درسوا بتمبكتو الشيخ أحمد الزروق الفاسي ومحمد الفاسي ومحمد بن علي الخروبي والشيخ الحطاب وغيرهم من رواد العلم[3].لذا تأثر السكان بحضارة بلاد المغرب وأخذوا الإسلام على المذهب المالكي وتعلموا الكتابة على الطريقة المغربية فكان بتمبكتو جالية مغربية كبيرة تتكون من العلماء والفقهاء والمدرسين والوعاظ والدعاة والتجار[4].

وقد شجع الأسيقيون الرحلات العلمية، فكانوا يرسلون الطلبة إلى بلاد المغرب للدراسة خاصة المغرب الأقصى، وكانوا يذهبون إلى مدينة مراكش بدرجة أولى وبعضهم كان يقصد مدينة فاس[5].وعندما يعودون بعد إنهاء دراستهم كانوا يقومون بتعليم ما تلقوه من معارف في بلاد المغرب وينشرونه بين أهلهم[6].

كما سعى الحكام الأسيقيون لجلب العلماء والفقهاء إلى تمبكتو فكان من بينهم محمد بن عبد الكريم المغيلي[7] الذي استطاع بواسطة علمه وقوة شخصيته التأثير على الناس في بلاد السودان الغربي وأصبح من أكبر العلماء فيها[8]،وقد اتصل به الأسقيا محمد (1493- 1528م) وأكرمه وكتب له أسئلة وطلب منه الإجابة عليها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام[9].وقد لعب المغيلي دورا كبيرا في بلاد السودان الغربي حيث ترك

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 99، 100.

(2) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 58.

(3) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 119.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **الحركة الثقافية والفكرية في سنغاي**، مجلة الفيصل، العدد 89، دار الفيصل، السعودية، 1404هـ/ 1984م، ص 80.

(5) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية...، ص 18.

(6) نفس المؤلف، مملكة سنغاي...، ص 137.

(7) ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان، ولا يعلم تاريخ مولده، غير أن وفاته كانت في سنة 909هـ/ 1503م، وكان من المثقفين وأولي الفكر في عصره، وقد انتقل إلى توات وسكن بها. كان له العديد من المؤلفات أشهرها: أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح. للمزيد ينظر: ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مر: محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م، ص 253 وما بعدها.

(8) عبد الرحمان عمر الماحي، المرجع السابق، ص 112.

(9) محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 09.

أثرا إسلاميا كبيرا وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين[1].

كما كان أبو القاسم التواتي من أكبر العلماء التواتيين الذين سكنوا تمبكتو ودرسوا بها[2]، إضافة إلى الشيخ سيدي حمو بلحاج التواتي الذي كان شيخ علم وثقافة وإلى جانب ممارسة التجارة مع مدينة تمبكتو كان يعلم بها الناس، وقد توفي بها عام 1062هـ[3].وقد استمر تدفق الفقهاء التواتيين على تمبكتو ومنهم الفقيه أبو الأنوار بن عبد الكريم التنلاني الذي استقر فترة طويلة يعمل في الإفتاء والتدريس في مدينة تمبكتو[4]، كما استفاد بعض العلماء التواتيين من تلك الحركة العلمية التي شهدتها تمبكتو في القرن 10هـ/ 16م كالعالم عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي الذي اتصل بعالم تمبكتو الشيخ أحمد بابا التمبكتي وأخذ العلم عنه، هذا فضلا عن أن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن الحاج أحمد بن محمد الفلاني قد أخذ معه إلى توات العديد من المخطوطات من تمبكتو[5].

وبعد الغزو السعدي لتمبكتو عام 1000هـ/ 1591م وقيام السلطان احمد المنصور(1577- 1602م) بأسر العالم أحمد بابا التمبكتي(1556- 1627م) وأخذه إلى مدينة مراكش وقد استغل تواجده بها فأخذ ينهل من خزائن الكتب المغربية التي وجد بها ضالته من العلم ووجد بها ما لم يجده في خزائن كتب مدينة تمبكتو[4]، كما جلس بمسجد الشرفاء بمراكش للتدريس[5]،وخلال إقامته بمراكش ترك للخزانة المغربية عددا من المؤلفات والكتب التي جاءت ثمرة اجتهاده، ومن هذه الكتب نيل الابتهاج بتطريز الديباج واللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية[6].

---

(1) عبد الرحمان عمر الماحي، المرجع السابق، ص 113.
(2) محمد محمود، المرجع السابق، ص 46.
(3) أحمد أبا الصافي جعفري، **من تاريخ توات(أبحاث في التراث)**، الجزائر، 2008م، ص ص 36، 37.
(4) فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 117.
(5) الصديق حاج احمد، **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11- 14هـ/ 17- 20م** ، ط1، مديرية الثقافة، ادرار، 2003م، ص 158.
(4) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 14.
(5) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تص: السيد هوداس، مطبعة بردين، 1888م، ص 96.
(6) حسن الصادقي، المرجع السابق، ص 08.

إضافة إلى ذلك فقد كان علماء تمبكتو على اتصال بغيرهم من العلماء المسلمين في جامع الزيتونة بتونس، ومساجد ليبيا، وتلمسان بالجزائر وذلك لتبادل المعارف والمعلومات معهم حول آخر المستجدات في العالم الإسلامي و للاستفادة من العلوم الإسلامية في كافة مجالاتها[1].

2- مع بلاد المشرق:

ساعد طريق الحج عبر مصر والذي كان يمر به حجاج بلاد السودان الغربي على التبادل الثقافي بين علماء معاهد تمبكتو وعلماء معاهد مصر[2]، فكان العديد من الحجاج يغتنمون الفرصة أثناء ذهابهم إلى المشرق فيجالسون العلماء اللامعين بمصر والحجاز، وقد تطول إقامة بعضهم عدة سنين فلا يعودون إلى تمبكتو إلا بعد أن يكونوا قد حصلوا على عدد من الإجازات[3]، ولكثرة ورودهم على مصر أسست لهم إدارة الأزهر رواقا خاصا بهم[4]عرف برواق التكرور[5].

كما اهتم الحكام بجلب العلماء والفقهاء وذلك من خلال رحلات الحج التي كانوا يقومون بها، فقد اصطحب الملك منسى موسى(1313- 1338م) بعد عودته من رحلة الحج عام 724هـ/ 1324م العديد من العلماء والفقهاء[6]من بينهم عبد الرحمان التميمي الذي أحضره من الحجاز، وقد استقر بتمبكتو ووجد بها كثيرا من الفقهاء، ولما شعر بتفوقهم في علوم الفقه قرر أن يسافر إلى مدينة فاس لدراسة الفقه، ليعود بعد ذلك إلى مدينة تمبكتو ويستقر بها نهائيا[7].

أما الاسقيا محمد(1493- 1528م) فقد اصطحب معه بعد عودته من رحلة الحج عام 902هـ/ 1495م العالم المصري جلال الدين السيوطي الذي استفتاه في المسائل

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 94.
(2) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق.
(3) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية...، ص 18.
(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 80.
(5) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 146.
(6) صفاء خلوصي، **مراجعة لكتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، مجلة الثقافة، العدد 93، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1406هـ/ 1986م، ص 30.
(7) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 176.

الدينية واستفاد من علمه وعينه مستشارا رئيسيا له[1]. وقد طلب الأسقيا أثناء رحلته من أمير مكة مولاي العباس أن يعطيه أحدا من شرفائه وعلمائه للتبرك به، غير أنه رفض. وفي عام 925هـ أرسل ابن أخيه أحمد مولاي الصقلي إلى تمبكتو، الذي لقي الترحيب والاحترام من طرف الأسقيا[2]، حتى أنه قام عند وصوله إلى تمبكتو بالزواج بامرأة عربية من أهل تافيلالت اسمها زينب[3].

وقد درَّس في جامعة تمبكتو أساتذة زائرون من القاهرة مختلف العلوم الدينية والشريعة الإسلامية والخطابة والنحو والأدب[4]. كما وفد على تمبكتو الطلاب من مصر والحجاز وقد كانوا يجدون التشجيع والرعاية فأخذوا العلم عن علمائها[5].

وكان الطلبة من جامعة سنكري يذهبون إلى الأزهر ومكة لدراسة الفقه والشريعة[6] واجتهدوا حتى بلغت علومهم القمة[7] ،وكثيرا ما كان الطلبة يرحلون كي يستمعوا إلى كبار العلماء في مكة وبغداد ودمشق والقاهرة[8].

كما رحل العلماء من تمبكتو إلى مصر للتدريس ومنهم أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري والشيخ راشد عبد الله التكروري(ت 796هـ/ 1394م) الذي كان من أعيان العلماء وله جامع بمصر عرف بجامع راشد والشيخ فاتح بن عثمان التكروري (ت 695هـ/ 1293م) الذي لازم أحد مساجد دمياط بمصر للتعليم والعبادة حتى عرف باسمه (جامع فتح)[9] ، كما نجد أبو سالم عبد الله بن محمد ابن أبي بكر التمبكتي الذي رحل لأداء فريضة الحج والتقى بالعديد من العلماء المغاربة والمشارقة الذين أجازوه[10]. هذا وقد ارتحل من أسرة أقيت العديد من العلماء من بينهم أحمد بابا التمبكتي

---

(1) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص ص 224، 225.

(2) Mahmoud Kati, op-cit, pp 16,17.

(3) محمد محمود، المرجع السابق، ص 46.

(4) محمد أمين أبه الابقاري، **نشأة الممالك والدويلات الإسلامية**، دار جامعة أفريقيا العالمية، 1427هـ/ 2006م، ص 435.

(5) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 163، 164.

(6) ك. مادهو بانكيار، المرجع السابق، ص 510.

(7) عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 326.

(8) جاك.س. ريسلر، المرجع السابق، ص 82.

(9) الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق.

(10) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 225.

(1556- 1627م) الذي ذهب إلى مصر والتقى بالعديد من العلماء منهم الناصر اللقاني والتاجوري[1].

3- مع المدن المجاورة:

كان لتمبكتو علاقات ثقافية مع المدن المجاورة في بلاد السودان كجني و كانو وبرنو و أقدز[2] وغيرها و كان لهؤلاء المغتربين في مدينة تمبكتو حي عرف بحي المغتربين بجوار جامعة سنكري أين كانوا يدرسون العلوم الإسلامية[3]. وكان الطلاب لا يفدون على مدينة تمبكتو إلا بعد أن يكونوا قد حفظوا القرآن الكريم في مدارسهم المحلية فيقيمون بها حتى يتم تعليمهم[4].

كما انتقل العلماء من تمبكتو إلى جني حيث كانو يدرِّسون بمساجدها من منتصف الليل إلى صلاة الفجر[5]، ثم يعودون لطلابهم ثانية بعد صلاة الظهر لتعليمهم وذلك حتى صلاة العصر. ومن العلماء التمبكتيين الذين سكنوا جني في عهد الأسيقيين القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ وغيره من العلماء[6].

أما العلماء التمبكتيين الذين استقروا بكانو فنجد من بينهم محمد بن أحمد التازختي[7] الذي ذهب إلى كانو بعد أداء فريضة الحج وحظي بالاستقبال والاحترام، حيث عين فيما بعد قاضيا في الفترة ما بين (1529- 1530م)[8].

وهكذا أصبحت تمبكتو مركزا للحياة العلمية والثقافية، اجتمع فيها علماء وطلبة من كل حدب وصوب من المغاربة والمشارقة ومن كافة أنحاء بلاد السودان طلبا للعلم والمعرفة، فكانت حياتهم بتمبكتو ميسرة وتستضيفهم أسر المدينة وتجارها

---

(1) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، ص 146.

(2) أو أكدز وهي بلدة تقع بتخوم البلاد الليبية وبنيت خلال القرن الحادي عشر ميلادي. ينظر: مرمول كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 206.

(3) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 24.

(4) حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي...، ص 44.

(5) الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 102.

(6) عمار هلال، المرجع السابق، ص ص 90، 91.

(7) كان فقيها عالما، حضر لدروس عبد الكريم المغيلي في مدينة تكدة ثم رحل إلى المشرق والتقى بشيخ الإسلام زكرياء القلقشندي. توفي عام 936هـ/ 1589م عن عمر يناهز 60 سنة. ينظر: أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج...، ص 588.

(8) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 26.

ووجهائها [1] والأثرياء من أهل المدينة، وكان لجامع سنكري أوقاف ينفق منها على الطلبة المنقطعين للعلم[2].

ونتيجة لهذه العلاقات التي ربطت تمبكتو بمختلف الأقطار نشطت الحركة الفكرية والأدبية بها، فبعد أن تمكنوا من دراسة العربية والإسلام أصبحوا ينتجون في ميادينهما مختلف مؤلفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية على النمط الذي كان عند العرب في المشرق والمغرب[3].كما ظهر نوع من الكتابات الأدبية والشعراء ورجال الفكر مثل عبد الرحمان السعدي وأحمد بابا التمبكتي ومحمود كعت وهذا ما يدل على اطلاع علماء تمبكتو على كثير من الكتب التي كان يتم اقتناؤها[4].

إن هذا الواقع يفيدنا أن:

- العلاقات الثقافية التي ربطت مدينة تمبكتو ببلاد المغرب كانت ناتجة عن حرص الحكام على توطيدها خاصة على عهد الأسيقيين.

- رحلات الحج كانت من أهم الوسائل التي ربطت مدينة تمبكتو ببلاد المشرق خاصة ثقافيا.

- المكانة التي أصبحت عليها تمبكتو ثقافيا شجعت المدن المجاورة لها على الأخذ من علومها.

- الرحلات العلمية ساهمت في تعميق الاتصال الثقافي بين تمبكتو ومختلف الأقطار الإسلامية.

- حركة التأليف الفكرية والأدبية ازدهرت بتمبكتو نتيجة لعلاقاتها الثقافية مع العالم الإسلامي.

---

(1) إصلاح محمد البخاري حمودة، المرجع السابق، ص 120.
(2) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 166.
(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية...، ص 78.
(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 81.

خاتمة

من خلال استعراضنا لهذا العمل يمكننا القول بأن مدينة تمبكتو كانت من أهم حواضر بلاد السودان الغربي، هذا ما أهلها لأن تلعب دورا رياديا في المجالين الاقتصادي والثقافي. وبعد هذه الدراسة استخلصنا النتائج والملاحظات التالية:

- أن الموقع الاستراتيجي لمدينة تمبكتو أهلها بأن تكون بوابة وهمزة وصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي فأصبحت محطة تجارية تصلها القوافل القادمة عبر الصحراء والآتية عبر النهر، وازدادت أهميتها أكثر بعد سقوط ولاتة.

- اهتم سكان تمبكتو بالزراعة وذلك بالاعتماد على مياه نهر النيجر والأمطار وبدعم من الحكام الأسيقيين رغم الظروف الطبيعية القاسية، وكان للزراعة بمدينة تمبكتو نظام عرف بنظام المزارع.

- امتلكت تمبكتو ثروة نباتية وحيوانية معتبرة كانت تسد حاجياتهم اليومية، كما استغلها السكان في تنويع صناعاتهم مما أدى إلى ظهور العديد من الدكاكين التي أصبحت تعج بها المدينة.

- كان من أبرز الحرف المهنية بتمبكتو حرفة الخياطة والتي كان لها تعليم مهني منظم إلى حد ما بالمدينة.

- ارتبطت مدينة تمبكتو بطرق برية تجارية مع مختلف الأقطار خاصة مع بلاد المغرب، كما حظيت بمزايا النقل النهري وذلك بالاستفادة من نهر النيجر.

- صدّرت مدينة تمبكتو العديد من السلع أهمها الذهب والعبيد، غير أنها لجأت إلى استيراد بعض المواد كالملح وذلك لافتقارها منه، وكان من أبرز نظم التعامل التجاري بالمدينة المقايضة والودع، كما استعملت العديد من المقاييس والمكاييل والموازين في تعاملاتها التجارية.

- وُجد بتمبكتو العديد من الأسواق التي كان يغلب عليها الطابع العربي الإسلامي، وكان بها العديد من الأحياء التي عرفت بأسماء الجاليات الآتية إليها كحي الغدامسية.

- إن الدور الذي لعبه كل من التجار والحكام والعلماء والفقهاء والأئمة في نشر الإسلام واللغة العربية من خلال بناء المساجد والمدارس جعل مدينة تمبكتو تبرز كحاضرة ثقافية في بلاد السودان الغربي.

- مرّ التعليم بمدينة تمبكتو بمرحلتين، مرحلة التعليم الابتدائي ومرحلة التعليم الثانوي والعالي، وكان التعليم العالي يتم في جامعة سنكري التي كانت تنافس نظيراتها في العالم الإسلامي، كما كانت تمنح إجازات للمتعلمين في المواد التي أتقنوها.

- توفرت مدينة تمبكتو على العديد من المكتبات الخاصة والعامة التي كان بها عدد من المخطوطات والكتب النفيسة.

- عرفت تمبكتو العديد من العلماء والقضاة وكان أشهرهم ينحدر من أسرة آل أقيت التي توارثت العلم ومنصب القضاء في المدينة.

- من أهم الوسائل التي ربطت مدينة تمبكتو ثقافيا بالمشرق رحلات الحج، أما عن علاقاتها ببلاد المغرب فقد حرص الحكام على توطيدها خاصة على عهد الأسيقيين، هذا ما أكسبها مكانة علمية شجعت المدن المجاورة على الأخذ من علومها.

- ساهمت الرحلات العلمية في تعميق الاتصال الثقافي بين مدينة تمبكتو ومختلف الأقطار الإسلامية، هذا ما أدى إلى ازدهار حركة التأليف الفكرية والأدبية.

ولا شك في أن المدينة ستكون بهذا مركز إشعاع عم سناه عموم بلاد السودان الغربي، وهو ما يبقي للمدينة جانبا مهما من المركزية والحيوية والمؤكدة لحضورها التاريخي الذي سيمتد إلى ما تجاوز حدود القرن 10هـ/ 16م.

ملحق: 1

خريطة توضح الموقع الجغرافي لمدينة تمبكتو على حافة نهر النيجر[1].

[1] الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

ملحق: 2

خريطة توضح المحاور التجارية الهامة الرابطة بين تمبكتو ومختلف الأقطار[1]:

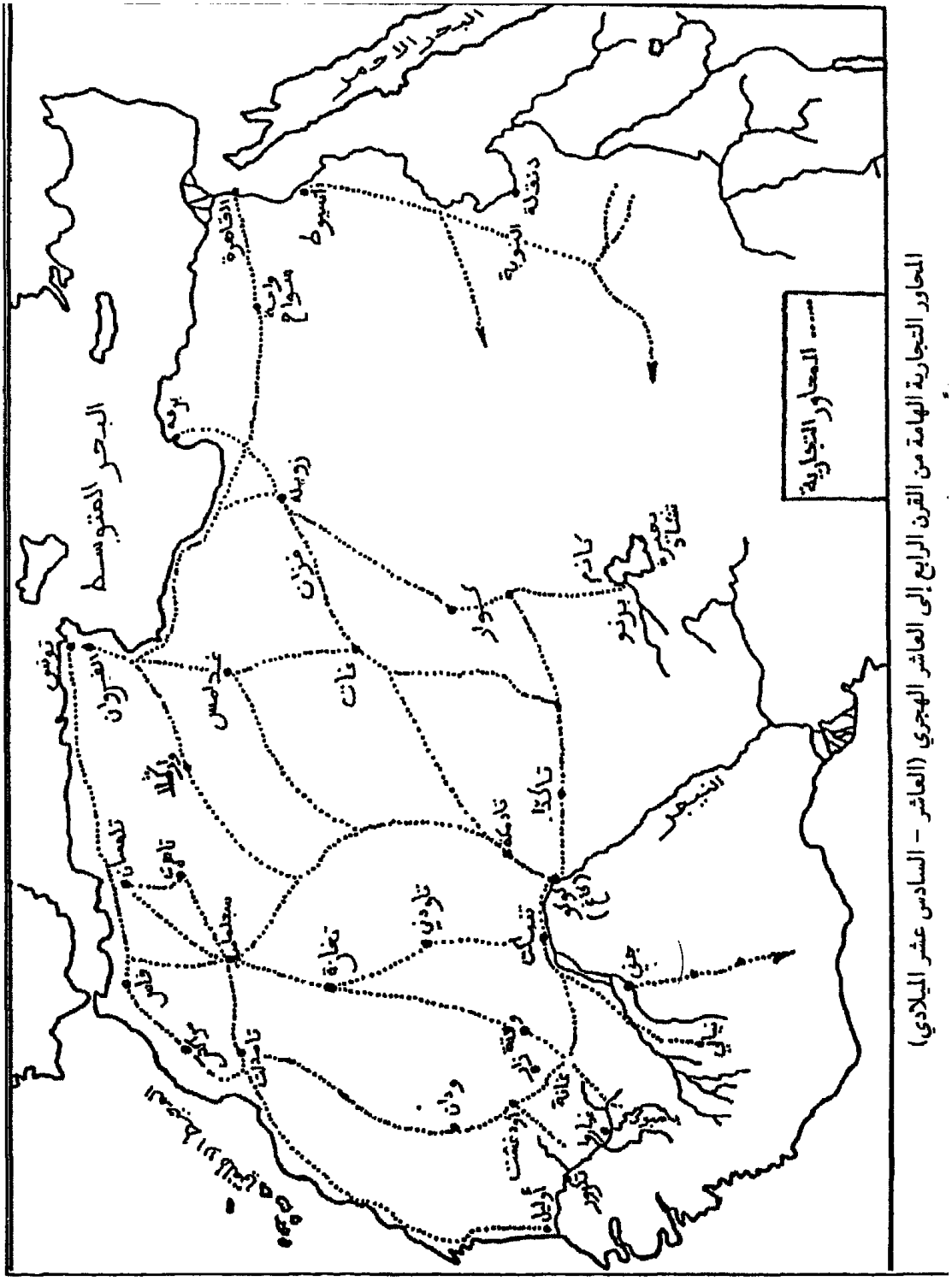

[1] احمد الشكري، المرجع السابق، ص 61.

ملحق: 3

خريطة توضح مصادر الذهب في بلاد السودان الغربي[1]:

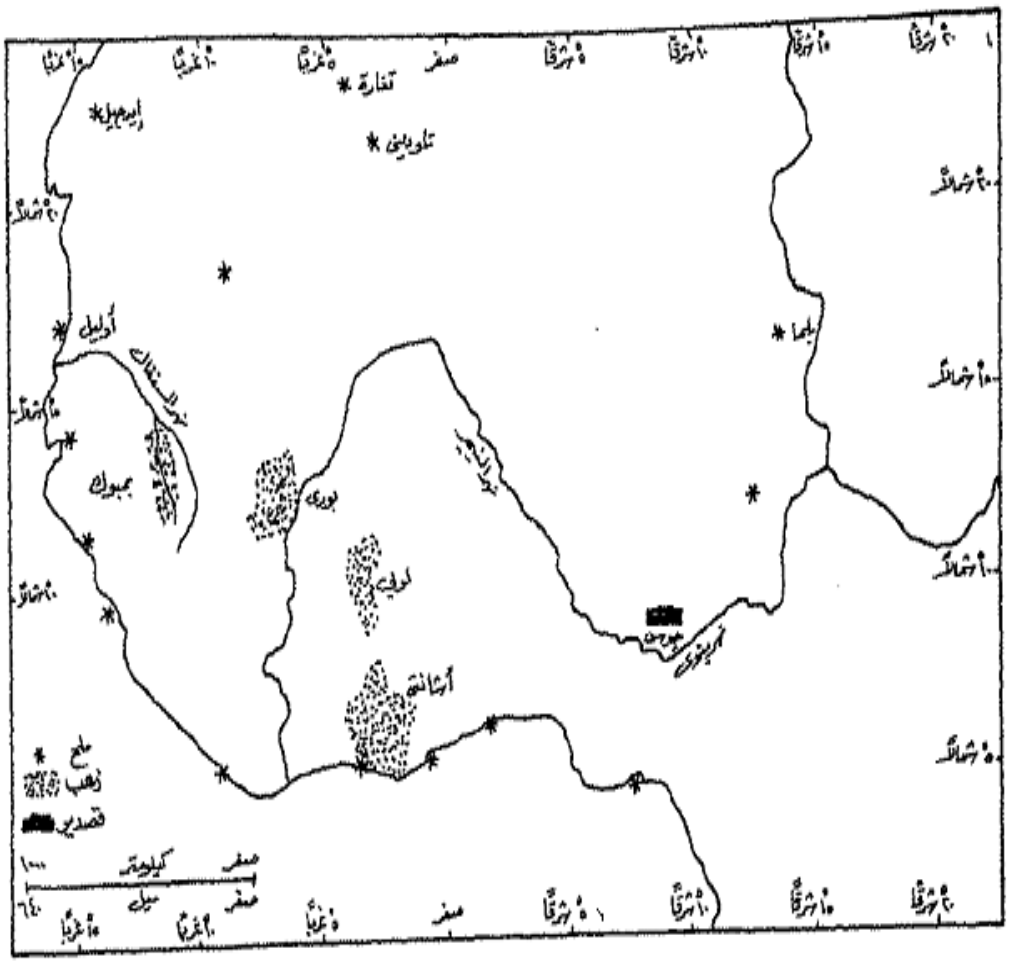

[1] هوبكنز، المرجع السابق، ص 88.

ملحق[1]: 4

نسخة من مخطوط معراج الصعود لأحمد بابا التمبكتي.

[1] احمد بابا التمبكتي، معراج الصعود...، ص 01.

ملحق[1]:5

شكل يوضح ألواح الملح

شكل يوضح تجارة الملح عبر الصحراء

[1] الجزيرة الوثائقية، تمبكتو تحت المجهر...، المرجع السابق.

ملحق: 6

شكل يوضح مسجد جنغري بير(الجامع الكبير)[1].

[1] الجزيرة الوثائقية، تمبكتو تحت المجهر...، المرجع السابق.

ملحق: 7

شكل يوضح مسجد سنكري[1].

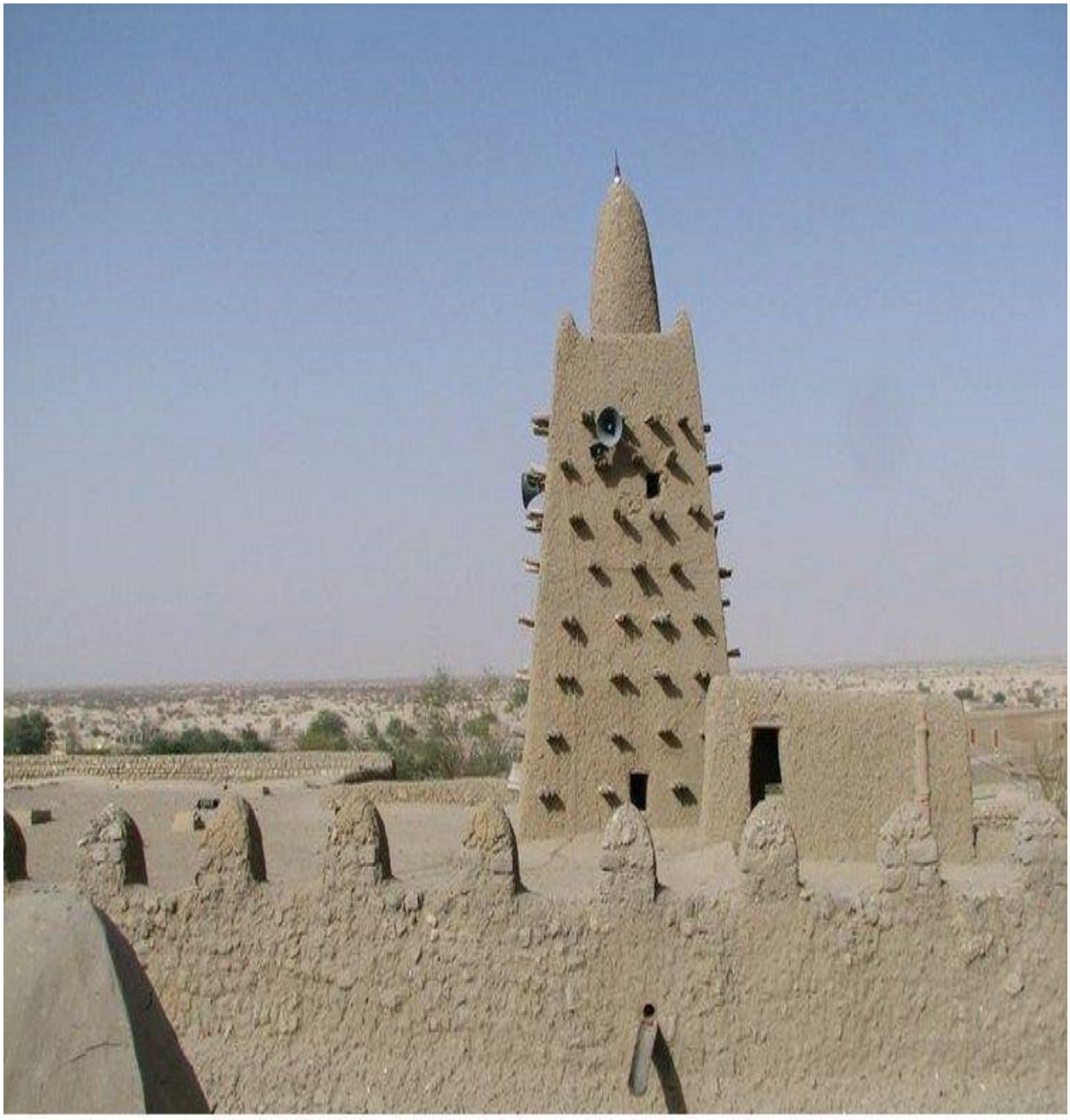

[1] الجزيرة الوثائقية، تمبكتو تحت المجهر...، المرجع السابق.

ملحق:8

شكل يوضح مسجد سيدي يحي التادلسي[1]:

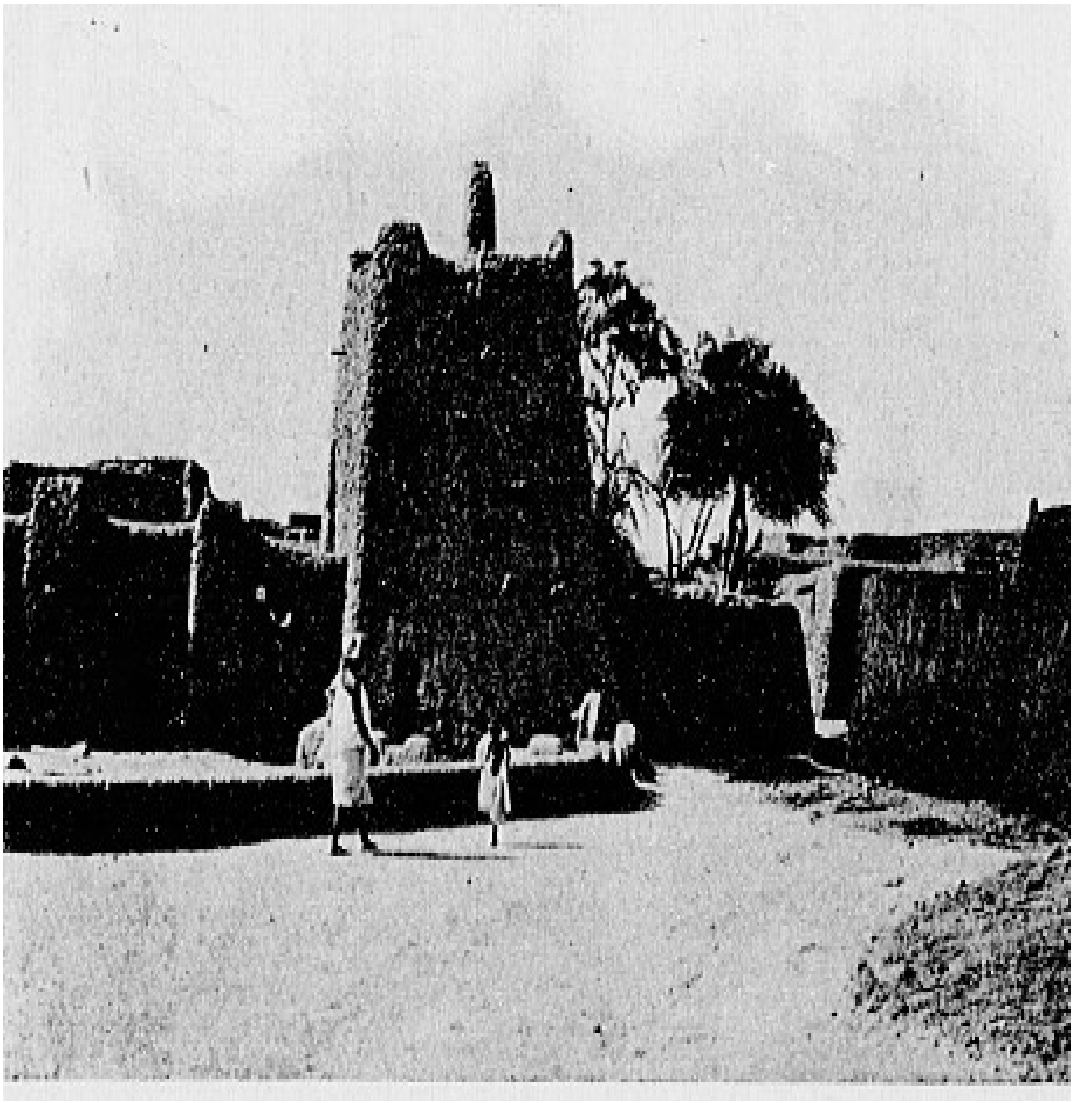

(1) E-T Hamy, op-cit, p 14.

ملحق:9

شكل لبس العمامة التي تمنح كإجازة للطلبة في جامعة سنكري[1].

[1] الجزيرة الوثائقية، تمبكتو تحت المجهر...، المرجع السابق.

أولا : **المخطوطات**:

1- أحمد بابا التمبكتي، **مخطوط (الكشف والبيان بحكم مجلوب السودان) أو(معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود)**، المكتبة الوطنية، الرباط، 1023هـ/ 1614م، رقم 1079.

ثانيا: **المصادر العربية**

1- أبادي الفيروز ، **القاموس المحيط**، عدد الأجزاء5، دار العلم للجميع، بيروت.

2- الإدريسي الشريف ، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس(مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)**، مطبعة بريل، ليدن، 1862م.

3- البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق ، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/ 1981م.

4- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، **رحلة ابن بطوطة**، دار بيروت، 1400هـ/ 1980م.

5- البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، عدد المجلدات2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م.

6- التلمساني ابن مريم الشريف المليتي المديوني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مر: محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م.

7- التمبكتي أحمد بابا ، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

8- التونسي محمد بن عمر ، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تح: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مر: محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية، القاهرة، 1965م.

9- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، **معجم البلدان**، عدد الأجزاء5، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م.

10- الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

11- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، عدد الأجزاء2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

12- ابن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر: سهيل زكار، عدد الأجزاء8، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/ 2000م.

13- الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية.

14- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر ، **تاريخ السودان**، مطبعة بردين، باريس، 1981م.

15- ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى ، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

16- ابن طولون الدمشقي شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الصالحي الحنفي، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1998م.

17- العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: حمزة أحمد عباس، عدد الأجزاء27، المجمع الثقافي، الإمارات، 2002م

18- العياشي عبد الله بن محمد ، **الرحلة العياشية(1661- 1663م)** ، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، عدد الاجزاء2، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، 2006م.

19- الفاسي علي ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار صور، الرباط، 1972م.

20- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط.

21- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، عدد الأجزاء15 ، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

22- كربخال مرمول ، **أفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، عدد الأجزاء3، مكتبة المعارف، 1414هـ/ 1984م

23- لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، عدد الأجزاء4، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م.

24- لسان الدين بن الخطيب محمد ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تص: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1940م.

25- مجهول المؤلف، **الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)** ، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

26- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تق و تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974م.

27- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تح وتع: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1420هـ/ 2000م.

28- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، عدد الأجزاء5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

29- الوزان الفاسي الحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي، **وصف أفريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، عدد الأجزاء2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

30- الوفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله النجار المراكشي الوجار، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تص: السيد هوداس، مطبعة بردين، 1888م.

ثالثا: **المصادر الأجنبية**

1- Kati Mahmoud ben el-Hadj el-Motaouakkel Kati , **Tarikh El-Fettach ou chronique du chercheur**, traduction Houdas et M . Delafosse,Paris,1913.

رابعا: **المراجع العربية**

1- الأبقاري محمد أمين أبه ، **نشأة الممالك والدويلات الإسلامية**، دار جامعة أفريقيا العالمية، 1427هـ/ 2006م.

2- البخاري إصلاح محمد ، **انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء(تنبكت- غدامس أنموذجا)** ، ط1، الشركة العامة، 2004م.

3- برايما باري عثمان ، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي**، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1421هـ/ 2000م.

4- بوعزيز يحي ، **تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2001م.

5- جعفري أبا الصافي أحمد ، **من تاريخ توات(أبحاث في التراث)** ، الجزائر، 2008م.

6- حسن حسن إبراهيم ، **انتشار الإسلام في القارة الأفريقية**، ط2، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1963م.

7- حسن نبيلة محمد، **في تاريخ أفريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010م.

8- ــــــــــــــ ، **في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية.

9- الدالي الهادي المبروك ، **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

10- الدراجي بوزياني ، **القبائل الأمازيغية(أدوارها، مواطنها، أعيانها)** ، عدد الاجزاء2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

11- دندش عصمت عبد اللطيف ، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غـرب أفريقيـا (430- 515هـ/ 1038- 1121م) مع تحقيق رسائل أبي بكر بن العربـي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

12- رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م.

13- زبادية عبد القادر ، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء (دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

14- ـــــــــــــ، **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العـرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

15- ـــــــــــــ ، **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1492- 1591م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

16- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، ، **تاج العروس مـن جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المؤلفين، عدد الأجزاء40، دار الهداية

17- الزركلي الدمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، **الأعلام**، عدد الأجزاء 12، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

18- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، عـدد الأجـزاء7، ط1، منـشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م.

19- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، عـدد الأجـزاء4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

20- سعودي محمد عبد الغني ، **قضايا أفريقيا**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980م.

21- الشكري أحمد ، **الإسلام والمجتمع السوداني(إمبراطورية مالي 1230- 1430م)**، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

22- شوقي عبد القوي عثمان حبيب، **التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (1250- 1517م/ 648- 922هـ)** ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م.

23- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم**، دار الثقافة، القاهرة، 1996م.

24- الصادقي حسن، **أضواء على مماليك غرب أفريقيا وعلاقاتها ببلاد المغرب**، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط.

25- الطيبي أمين توفيق ، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، عدد الأجزاء3، الدار العربية للكتاب، 1997م.

26- عبد الظاهر حسن عيسى ، **الدعوة الإسلامية في غرب افريقية وقيام دولة الفولاني**، ط1، دار الزهراء، القاهرة، 1412هـ/ 1991م.

27- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998م.

28- العربي إسماعيل ، **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

29- ــــــــــــــ، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

30- علي محمد عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001م.

31- الغربي محمد ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (نشأته وآثاره)** ، مؤسسة الخليج، الكويت، 1982م.

32- غيث أمطير سعد ، **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين 14و 16م**، ط1، دار الرواد، بنغازي، 1937م.

33- الفاسي محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري ، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، عدد الأجزاء2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/ 1995م.

34- فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

35- الفيتوري عطية مخزوم ، **دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء**، ط1، منشورات جامعة فانريوس، بنغازي، 1998م.

36- قداح نعيم ، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في أفريقيا الغربية**، ط2، الشركة الوطنية، الجزائر.

37- الكتاني عبد الحي محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي ، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تح: إحسان عباس، عدد الاجزاء2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

38- الماحي عبد الرحمان عمر ، **الدعوة الإسلامية في أفريقيا(الواقع والمستقبل)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

39- مبروك مقدم ، **محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرنين الثامن والتاسع ميلادي**، دار الغرب، الجزائر، 2002م.

40- مخلوف محمد بن محمد ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ.

41- هلال عمار ، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

خامسا: المراجع المعربة

1- أرنولد سير توماس.و. ، **الدعوة إلى الإسلام(بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)**، تر وتع: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م.

2- بولم دنيس ، **الحضارات الأفريقية**، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت.

3- ريسلر جاك.س. ، **الحضارة العربية**، تر: غنيم عبدون، مر: أحمد فؤاد الاهواني، الدار المصرية.

4- لومبارد موريس ، **الإسلام في مجده الأول(القرن 8م – 11م/ 2- 5هـ)**، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979م.

5- مادهو بانكيار .ك. ، **الوثنية والإسلام(تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب افريقية)**، تر و تع و تح: أحمد فؤاد بلبع، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.

6- منظمة اليونسكو، **تاريخ أفريقيا العام** ، عدد الأجزاء 7، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م.

7- ميد مارغريت ، **الشعوب والبلدان**، تر: غادة السمان، مكتبة الأطلس، دمشق، 1959م.

8- هوبكنز.أ.ج، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تر: أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، 1998م.

9- وود .هـ. ج. ، **الارتياد والكشف الجغرافي**، تر: شاكر خصياك، المكتبة العصرية، بيروت.

10- ووديس جاك ، **جذور الثورة الأفريقية**، تر وتع: أحمد فؤاد بلبع، راجع الترجمة: عبد المالك عودة، الهيئة المصرية العامة، 1971م.

11- وورين روسيل هاو، **تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا**، تر: عبد الوهاب محمد الزنقاني، دار غريب، القاهرة، 2009م.

سادسا: الرسائل الجامعية

1- جاجوا حسين ، **حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر**، أطروحة ماجستير، (غير منشورة)، الجزائر، 1414هـ/ 1994م.

2- ـــــــــــ، **دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي (1850- 1881)** ، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة،(غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1401ه/ 1981م.

3- الجنيدي عبد الحميد، **مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10ه/ 16م**، أطروحة ماجستير،(غير منشورة)، جامعة الجزائر،(1429- 1430ه)/ (2008- 2009م).

4- بن عمر حاج عيسى الياس ، **مدينة ورجلان(دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية في الفترة (4-10ه – 10-16م)**، أطروحة ماجستير ،(غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1429- 1430ه/ 2008- 2009م.

5- بن موسى جميلة ، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري(9م- 11م)** ، أطروحة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2000م.

سابعا: المقالات

1- خلوصي صفاء ، **مراجعة لكتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، مجلة الثقافة، العدد 93، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1406هـ/ 1986م.

2- زبادية عبد القادر ، **ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر**، مجلة الأصالة، العدد 53، السنة السابعة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، صفر- محرم 1398ه/ جانفي 1978م.

3- ـــــــــــ، **ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري**، مجلة الأصالة، العدد 41، وزارة الشؤون الدينية.

4- عوض الله الأمين ،**تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن 16م**، مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ/ 1984م.

5- العربي إسماعيل ، **مسالك الإسلام والعروبة إلى الصحراء الكبرى**، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1401هـ/ 1981م.

6- الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، **الحركة الثقافية والفكرية في سنغاي**، مجلة الفيصل، العدد 89، دار الفيصل، السعودية، 1404هـ/ 1984م.

7- فخار إبراهيم، **تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى**، معهد البحوث والدراسات العربية.

8- قوي أود ، **طرق تأثير الفكر العربي الإسلامي في غرب أفريقيا حتى حوالي 1150هـ/ 1737م** ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد التاسع، طرابلس، 1992م.

9- قويدر بشار ، **القوافل التجارية المغاربية(طبيعة التجارة وآثارها)** ، مجلة طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطبعة عمار قرفي، الجزائر، 2001م.

10- محمود محمد ، **العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى**، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، مر وتق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م.

11- الهرامة عبد الحميد ، **تمبكتو... نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987م.

ثامنا: الموسوعات والبرامج الوثائقية

1- شلبي أحمد ، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، عدد الأجزاء8، القاهرة، 1998م.

2- الموسوعة العربية العالمية، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

3- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

4- الجزيرة الوثائقية، برنامج تحت المجهر، عنوان الحلقة:" تمبكتو... جوهرة الصحراء"، إعداد: عياشي الدراجي.

5- الجزيرة الوثائقية، برنامج الحضارات القديمة(حضارة بلاد الهوسا).

تاسعا: المراجع الأجنبية

1- Saint-Louis, **Notice sur la région de Tombouctou**, imprimerie du gouvernement, 1869.

2- Oskar Lenz, **Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et au Soudan** , 2 Tome, libraire Haghette, Paris, 1887.

3- Mgr A.Hacquard , **Monographie de Tombouctou (Accompagnée de nombreuses illustrations et d'une carte de la région de Tombouctou)** , société des études coloniales et maritimes, Paris, 1900.

4- Lucien Hurbert et Maurice Delafosse, **Tombouctou (son histoire-sa conquête)** , grand imprimerie parisienne, Paris,1894.

5- Comte René le more , **D'Alger à Tombouctou (des rives de la loive aux rives du Niger) ,** librairie Plon, Paris, 1913.

عاشرا:المجلات الأجنبية

1- E-T. Hamy, **Tombouctou (conférence faite au muséum d'histoire naturelle)** ,Revue générale des science pures et appliquées, Directeur: Louis Olivier, librairie Armand colin, Paris, 1902.

2- Marcel Emerit, **Travaux de l'institut de recherches Sahariennes**, T11, Alger, 1954

3- Seyni Moumouni, **Scribes et Manuscrits à Tombouctou(la chaine du Manuscrits)**, Asian and African studies, 16, 2007, 1.

فهرس الموضوعات

الإهداء
شكر وعرفان
المقدمة.....**02**
مدخل: لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة تمبكتو.....**08**
1- الموقع الجغرافي.....08
2- أصل التسمية.....09
3- النشأة والتأسيس.....11
الفصل الأول: الدور الاقتصادي لمدينة تمبكتو.....**16**
أولا: زراعيا.....**16**
1- المزروعات.....18
1-1- الأرز.....18
1-2- الذرة.....18
1-3- الفول.....18
1-4- جوزة الكولا.....19
1-5- التبغ.....19
1-6- منتجات أخرى.....19
2- الثروة الحيوانية والسمكية.....20
ثانيا: صناعيا.....**22**
1- الخياطة والنسيج.....22
2- الحدادة.....23
3- الصناعات الجلدية.....24
4- صناعة السفن والقوارب.....24
5- صناعات اخرى.....25
ثالثا: تجاريا.....**26**
1- المسالك التجارية.....26
1-1- البرية.....26
1-2- النهرية.....32
2- المبادلات التجارية.....33
2-1- الصادرات.....33
2-2- الواردات.....38
3- نظم التعامل.....43
3-1- المقايضة.....43
3-2- المعاملات النقدية.....44

4- المقاييس والمكاييل والموازين.....45
4-1- المقاييس.....45
4-2- المكاييل.....46
4-3- الأوزان.....46
5- الأسواق.....47
الفصل الثاني: الدور الثقافي لمدينة تمبكتو.....51
أولا: المقومات الثقافية.....51
ثانيا: ملامح الحياة الثقافية.....55
1- المساجد.....55
1-1- الجامع الكبير.....55
1-2- مسجد سنكري.....58
1-3- مسجد سيدي يحي التادلسي.....60
2- المدارس.....61
2-1- مراحل التعليم.....61
2-2- الإجازات.....65
3- المكتبات.....65
4- العلماء والقضاة.....67
ثالثا: العلاقات الثقافية.....72
1- مع بلاد المغرب.....72
2- مع بلاد المشرق.....75
3- مع المدن المجاورة.....77
الخاتمة.....80
الملاحق.....83
قائمة المصادر والمراجع.....93
فهرس الموضوعات.....105